Journal Of the Iraqia University (77-2) 31 October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIline ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الهمزة وأصوات المد (دراسة صوتية تحليلية في ضوء الدرس الصوتي العربي القديم والحديث)

استاذ مساعد دكتور ندى صالح يوسف

الجامعة العراقية/كلية الإعلام التخصص العام/ اللغة العربية التخصص الدقيق/اللغة (علم الأصوات)

The Hamza and Vowel Sounds
An Analytical Phonetic Study in Light of Classical and Modern Arabic Phonetics

Nada.s.yousif@aliraqia.edu.iq

الملخص

تتناول هذه الدراسة ظاهرة صوتية لها حضورها الواضح في بنية الكلمة العربية، وهي العلاقة بين الهمزة وأصوات المد الثلاثة: الألف والواو والياء. وتبدأ الدراسة بوصف هذه الأصوات من حيث المخرج والصفة، ثم تنتقل إلى رصد التغيرات الصوتية الناتجة عن تجاور الهمزة مع أحد أصوات المد ، وأهمها التسهيل والإبدال والنقل والحذف، وما يرتبط بها من أحكام في المد المتصل والمنفصل ومد البدل. وتسعى الدراسة إلى ربط هذه الأحكام بجذورها اللهجية القديمة، وتفسيرها وفق مفهومي الجهد العضلي والاقتصاد الصوتي اللذين يتداولهما الدرس الحديث، معتمدة في ذلك على ما أورده القدماء من نصوص وشواهد في كتب النحو والصرف والقراءات.ولا تتوقف الدراسة عند الوصف النظري وحده، بل تعمد إلى تمثيل كل ظاهرة بشواهد لغوية وقرآنية مختارة، بهدف الكشف عن مدى اطراد القاعدة الصوتية وحدودها، ومدى تلاقي تعليلات القدماء مع معطيات الدرس الصوتي الحديث، وذلك للوصول إلى تصور يجمع بين عمق النظر القديم ودقة الوصف المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الهمزة، أصوات المد، الإبدال، التسهيل، النقل، المد المتصل، المد المنفصل، مد البدل،.

Abstract

This study discusses an Arabic phonetic phenomenon regarding ways in which the hamza and the three long vowels (alif, waw, ya) are related to each other. In the first section of this study, the sounds will be identified by way of their place of articulation and their characteristics. The second section will contain observations regarding phonetic changes made when the hamza occurs beside one of the long vowels; facilitation, substitution, transfer, and deletion will be detailed along with their unique rules applicable to connected sound elongation, separated elongation and compensatory elongation. The objective of this study is to build a bridge between these rules and their ancient dialect origins and present the interpretations of each of them as per the theories of muscular effort and phonetic economy as outlined in contemporary studies, using the writings of the ancients in regards to materials in their grammar books, morphology books and in texts on Quranic recitation and reading that they wrote. Along with presenting written material, this study will represent the theorized forms of each phonetic phenomenon through actual linguistic and Quranic examples as a means for confirming the validity of the phonetic rule and its respective limitations, while also relating the ancient explanations to modern phonetic observations, in order to achieve an overall perspective of the combined depth of insight from the ancient theorists and the precision of the contemporary descriptions.Keywords: hamza, long vowels, substitution, facilitation, transfer, connected elongation, separated elongation, compensatory elongation.

المقدمة

تحتل قضية الهمزة موضعاً بارزاً من اهتمام الباحثين العرب قديماً وحديثاً، فهي صوت يتميز عن غيره من أصوات العربية بمخرجه الخاص وطريقة أدائه [1]، بينما تمثل أصوات المد – الألف والواو والياء المديتان – الجانب المقابل لها من حيث السهولة والانسياب [2]. وحين يجتمع هذان الطرفان المتباعدان في كلمة واحدة أو في كلمتين متجاورتين، تظهر سلسلة من التحولات الصوتية عرفها القدماء في أبواب التسهيل والإبدال والنقل، وهي

تحولات لم تنشأ عن تكلف أو تصنع، وإنما جاءت استجابة طبيعية لميل اللسان إلى التخفف من الثقل النطقي حيثما أمكن [3].ولم تكن العناية بهذه المسائل وقفاً على علم واحد؛ فالنحاة تناولوها في إطار حديثهم عن الإعلال والإبدال [4]، وعلماء التجويد تناولوها في باب أحكام المد [5]، والقراء تناولوها في معرض اختلاف الروايات [6]، حتى أصبحت مسائل الهمز وأصوات المد موضوعاً مشتركاً تتداخل فيه هذه العلوم الثلاثة.ولا يبدو هذا التداخل بين النحو والتجويد والقراءات أمراً عرضياً، بل هو نتيجة طبيعية لطبيعة الظاهرة نفسها؛ فالهمزة تمس بنية الكلمة من جهة (وهو ما يتصل بالنحو والصرف)، وتمس أداء التلاوة من جهة ثانية (وهو ما يتصل بالتجويد)، وتمس صحة النقل وأوجه الأداء المروية من جهة ثالثة (وهو ما يتصل بالقراءات). ومن ثم فإن دراسة الهمزة وأصوات المد بعزل عن أحد هذه الجوانب الثلاثة تبقى دراسة منقوصة لا تستوعب أبعاد الظاهرة كاملة [7].وتتجلى أهمية هذا الموضوع في أن فهم العلاقة بين الهمزة وأصوات المد يساعد على تفسير عدد كبير من الظواهر الصرفية والقرائية التي قد تبدو في ظاهرها متفرقة لا يجمعها رابط، مع أنها تعود في حقيقتها إلى مبدأ صوتي واحد، هو التنافر بين صوت شديد حنجري وأصوات لينة طويلة [8].[9]ويزداد الموضوع أهمية كذلك لأن أحكام المد المرتبطة بالهمز – المتصل والمنفصل والبدل – من أكثر أبواب التجويد التي يلتبس فهمها على المبتدئين، حيث يواجهون مصطلحات ومقادير زمنية يصعب استيعابها دون ربطها بعلتها الصوتية. لذلك فإن تفسير هذه الأحكام تفسيراً صوتياً علمياً ييسر على الدارسين استيعابها، ويحوّلها من معطى تعبدي محض إلى معطى منطقي يقبل الفهم والاستدلال [10].

إشكالية البحث وفجوته البحثية

مع كثرة ما كُتب عن الهمزة وأصوات المد – كما سيوضح قسم الدراسات السابقة – فإن جانباً كبيراً من هذه الكتابات يقع في أحد اتجاهين: فإما دراسات تراثية وصفية تكتفي بسرد أحكام النحاة والقراء دون أن تعرضها على أدوات التحليل الصوتي الحديث، وإما دراسات صوتية حديثة تتناول الهمزة في إطار عام لأصوات العربية دون أن تخصص العلاقة التفاعلية بينها وبين أصوات المد بدراسة مستقلة تجمع أبواب التسهيل والإبدال والنقل والحذف وأحكام المد المرتبطة بالهمز في منظومة تحليلية واحدة. وهذا الفراغ البحثي – الجمع بين العمق التراثي والأداة التحليلية الحديثة في موضوع محدد – هو ما تحاول هذه الدراسة معالجته.ومن هذا الفراغ تتولد إشكالية الدراسة الرئيسة، التي يمكن صياغتها على النحو الآتي: هل تكفي تعليلات النحاة والقراء القدماء لتفسير ظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف وأحكام المد المرتبطة بالهمز، أم أن عرض هذه الظواهر على أدوات الفونولوجيا المعاصرة – من مبدأ الاقتصاد، ومفهوم العلامية (Markedness)، ومفهوم الجهد النطقي (Articulatory Effort) – يفتح أبعاداً تفسيرية جديدة لم يتطرق إليها القدماء، أو يعيد ترتيب أولويات التعليل القديم بدقة أكبر؟وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة ثلاثة أسئلة فرعية توجه مسار الدراسة: السؤال الأول، هل تستوعب النظريات الصوتية الحديثة جميع تعليلات القدماء للهمزة، أم أن بعض جوانب التعليل القديم يبقى قائماً بذاته بحيث لا تشمله المقولات الحديثة؟ والسؤال الثاني، إلى أي مدى تتوافق أحكام المد في القراءات القرآنية المتواترة مع مبادئ الاقتصاد الصوتي (Economy Principle) والجهد النطقي كما صاغها الدرس الحديث؟ والسؤال الثالث، هل يمكن أن تُعاد قراءة ظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف – بوصفها منظومة واحدة – في إطار نموذج فونولوجي معاصر كنظرية الأمثلية (Optimality Theory) القائمة على التفاضل بين القيود؟والإجابة عن هذه الأسئلة هي ما يميز هذه الدراسة عن سابقاتها؛ فهي لا تكتفي بعرض القديم أو الحديث كل على انفراد، بل تسعى إلى إجراء محاكمة نقدية بينهما، تُبيّن مواضع التطابق ومواضع القصور عند كل من الطرفين، وصولاً إلى تصور تفسيري أوسع مما يقدمه أي من المنهجين بمفرده.[11]وفي ضوء ما سبق، تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما طبيعة الهمزة من حيث المخرج والصفة، وما أنواعها؟ وما أصوات المد وأقسام المد المرتبطة بها؟ وما الصور التي يتخذها التفاعل بين الهمزة وأصوات المد، وما تعليلها الصوتي؟ وهل لهذا التفاعل أصل لهجي يمكن تتبعه في القراءات القرآنية؟ وهل يمكن صياغة فرضية أو مبدأ تفسيري صوتي عام يقرأ جميع هذه الصور تحت مظلة واحدة؟ وتسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية: تقديم وصف صوتي دقيق للهمزة وبيان أنواعها، والتعريف بأصوات المد وأقسام المد ذات الصلة بالهمز، وتحليل صور التفاعل بينهما تحليلاً يجمع بين النظر القديم والمعطى الصوتي الحديث، وتتبع الجذر اللهجي لهذه الظاهرة وأثره في القراءات، إلى جانب محاولة صياغة تصور تركيبي يجمع شتات هذه الصور تحت مبدأ صوتي جامع.وتنحصر الدراسة في العلاقة بين الهمزة وأصوات المد الثلاثة في الكلمة العربية، دون الدخول في تفصيلات الاختلاف بين الروايات والطرق التي هي شأن كتب القراءات المتخصصة، فيكتفى منها بما يخدم البعد الصوتي للظاهرة [12]. كما لا تتعرض الدراسة لأحكام الهمزة الإملائية من جهة الرسم والضبط، لأن ذلك موضوع مستقل له أصوله الخاصة التي قد تتقاطع مع الجانب الصوتي دون أن تتطابق معه تماماً.أما المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقراء النصوص اللغوية والقرائية ذات الصلة وتحليلها، مع توظيف المقارنة بين تعليلات القدماء وما يقابلها من تفسيرات الدرس الصوتي الحديث [13]. وقد جُمعت المادة من المصادر النحوية والصرفية الأصيلة من جهة، ومن كتب التجويد والقراءات من جهة أخرى، مع الاستعانة بالدراسات الصوتية الحديثة في تفسير ما ورد عند القدماء وصياغته بمصطلحات علمية معاصرة.وتتألف الدراسة من خمسة مباحث: يتناول الأول حقيقة

الهمزة الصوتية وأنواعها، ويتناول الثاني أصوات المد وأقسام المد المتصلة بالهمز، ويتناول الثالث صور التفاعل الصوتي بين الهمزة وأصوات المد، ويتناول الرابع الأصل اللهجي لهذه الظاهرة وانعكاسه في القراءات، ويعرض الخامس نماذج تحليلية تطبيقية مختارة تجمع خيوط المباحث السابقة في تحليل كلمات وتراكيب بعينها، تليها خاتمة بأهم النتائج والمقترحات، ثم قائمة المصادر والمراجع.وقد رُوعي عند تطبيق المنهج الوصفي التحليلي ربط الوصف بالتعليل، فلا تقف الدراسة عند رصد الظاهرة، بل تتجاوز ذلك إلى البحث عن علتها الصوتية، وهو ما يراه الباحثون شرطاً أساساً لكل دراسة صوتية تروم تجاوز السرد إلى التحليل [14]. وتأمل الدراسة أن تسهم – ولو بقدر محدود – في تضييق الفجوة القائمة بين الدرس النحوي التراثي والدرس الصوتي الحديث، فجوة كثيراً ما يشكو منها الدارسون حين يجدون مصطلحات القدماء غريبة عليهم، ومصطلحات المحدثين بعيدة عن نصوص التراث.[15]

الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربية السابقة

نالت ظاهرة الهمزة قسطاً واسعاً من اهتمام الدراسات اللغوية العربية الحديثة؛ فقد عرض لها أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية) من جهة وصفها الفسيولوجي ومقارنتها بالأصوات الحلقية الأخرى، مع وصف دقيق لمراحل النطق بها وتوضيح أسباب الخلاف القديم حول جهرها وهمسها [16]. وتناولها بشر أيضاً في (علم الأصوات) ضمن منظومة الأصوات الحلقية والحنجرية، مع تركيز على موضعها من حيث المخرج مقارنة بالهاء والعين والحاء [17].وعلى صعيد الدراسات المتصلة بأحكام التجويد، خصص الحمد في كتابيه (أبحاث في علم التجويد) و(الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) فصولاً واسعة لأحكام المد المتصل والمنفصل ومد البدل، متتبعاً تطور هذه المصطلحات عند علماء التجويد المتقدمين والمتأخرين، وهو ما استفادت منه هذه الدراسة في الربط بين الوصف القديم لأحكام المد وتفسيره الصوتي [18]. وقدّم نصر في (غاية المريد) عرضاً تطبيقياً مفصلاً لمقادير المد عند القراء العشرة، شكّل مرجعاً أساسياً لأمثلة هذه الدراسة [19].أما في الجانب النحوي والصرفي، فقد عالج ابن جني في (سر صناعة الإعراب) ظواهر الإبدال والإعلال معالجة تجمع بين الوصف والتعليل الصوتي، حتى عُدّ كتابه من أوائل المحاولات العربية لتفسير الظواهر الصرفية تفسيراً صوتياً يقترب من منهج الدرس الحديث [20]. وعلى هذا النهج سار ابن السراج في (الأصول في النحو)، والمرادي في (توضيح المقاصد والمسالك)، حيث فصّلا أبواب الإعلال بالقلب والنقل تفصيلاً دقيقاً مع التمثيل بشواهد منثورة ومنظومة [21].وفي الجانب اللهجي والقرائي، عُني السامرائي في (الدراسات اللغوية عند العرب) بتتبع الفروق اللهجية بين القبائل العربية في تحقيق الهمزة وتسهيلها، وعُني مكرم في (القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية) بإيضاح كيف استثمر النحاة القراءات المختلفة في باب الهمز شواهد على قواعدهم [22]. ويبقى كتاب (التيسير في القراءات السبع) للداني، و(النشر في القراءات العشر) لابن الجزري من أهم المصادر الأصيلة التي وثقت أوجه الأداء المختلفة في هذا الباب توثيقاً مسنداً [23].

ثانياً: الدراسات الأجنبية في الفونولوجيا الحديثة المتصلة بالموضوع

لم تكن الهمزة وأصوات المد العربية بعيدة عن اهتمام الدراسات الفونولوجية الغربية المعنية باللغات السامية؛ فقد قدمت واطسون (Watson) في (The Phonology and Morphology of Arabic) وصفاً فونولوجياً واسعاً لأصوات العربية الفصحى وعدد من اللهجات، تناولت فيه الهمزة باعتبارها صوتاً حنجرياً (glottal stop) شديد التأثر بالسياق الصوتي، وأوضحت أنماط حذفها وإبدالها في اللهجات العربية المعاصرة [24].وعرض مكارثي (McCarthy) في دراسته عن الأصوات الحلقية والحنجرية السامية (Semitic pharyngeals and glottals) للعلاقة بين الهمزة وما يجاورها من أصوات صائتة في إطار السمات الفونولوجية المميزة (distinctive features)، موضحاً أن صوت الهمزة (الانسداد الحنجري الكامل) من أكثر الأصوات تمييزاً في النظام الصوتي السامي، وأكثرها تعرضاً للتغير في السياقات السريعة [25].وعلى مستوى النظرية الفونولوجية العامة، أسس تروبتسكوي (Trubetzkoy) في كتابه (Principles of Phonology) مفهوم (العلامية / Markedness)، الذي يميز بين الأصوات (غير المعلَّمة) الشائعة عبر اللغات والأصوات (المعلَّمة) النادرة المكلفة نطقياً، وهو مفهوم تطور لاحقاً في نظرية الأمثلية على يد برنس وسمولينسكي (Prince & Smolensky)، وفي دراسة دو لايسي (de Lacy) المخصصة لمفهوم العلامية في الفونولوجيا [26].وعلى صعيد التفسير الفيزيائي للتغير الصوتي، طرح ليندبلوم (Lindblom) في نظريته المعروفة بـ(H&H Theory) إطاراً يفسر التغيرات الصوتية بوصفها محصلة تفاعل بين متطلبات (الوضوح) ومتطلبات (الاقتصاد في الجهد العضلي)، وهو إطار يمكن تطبيقه مباشرة على ظواهر التسهيل والإبدال والحذف موضوع هذه الدراسة [27]. وتتلاقى هذه الجهود الغربية في تقديم أدوات تحليلية دقيقة (الجهد النطقي، العلامية، الاقتصاد) كان النحاة العرب القدماء قد أشاروا إلى مضامينها بعبارات وصفية عامة دون صياغتها في نماذج رياضية أو تراتبية صريحة.

ثالثاً: أهمية البحث

يتبين مما سبق أن الدراسات العربية السابقة، على عمقها الوصفي والاستقرائي، لم توظف صراحة مفاهيم الفونولوجيا المعاصرة كالعلامية والاقتصاد والجهد النطقي في تفسير ظواهر الهمزة وأصوات المد، وأن الدراسات الأجنبية، مع دقتها النظرية، تناولت الهمزة العربية ضمن أطر عامة عن النظام الصوتي السامي أو اللهجات المعاصرة، دون أن تخصص العلاقة التفاعلية بين الهمزة وأصوات المد في الفصحى التراثية والقراءات المتواترة بدراسة مستقلة تجمع أبوابها الأربعة (التسهيل، الإبدال، النقل، الحذف) مع أحكام المد الثلاثة (المتصل، المنفصل، البدل) في إطار تحليلي واحد. وهنا تكمن إضافة هذه الدراسة: فهي تقدم – أولاً – عرضاً منظماً للتراث النحوي والتجويدي والقرائي في هذا الباب؛ وتعيد – ثانياً – قراءة هذا التراث في ضوء مفاهيم الاقتصاد الصوتي والعلامية والجهد النطقي، مع توضيح مواضع الاتفاق والافتراق بين التفسيرين؛ وتقترح – ثالثاً – صياغة تحليلية موحدة (فرضية التنافر الهمزي–المدي، ونموذج تفاضل القيود) تفسر الظواهر الأربع وأحكام المد الثلاثة تفسيراً واحداً؛ وتختبر – رابعاً – هذه الصياغة على مدونة موسعة من الشواهد القرآنية والشعرية واللهجية. وبذلك تسد هذه الدراسة الفجوة المشار إليها، جامعة بين عمق التراث ودقة الأداة التحليلية الحديثة في موضوع لم يجمع بينهما بهذه الصورة من قبل، في حدود اطلاع الباحث.وتتميز هذه الدراسة عن سابقاتها بمحاولتها الجمع بين هذه الروافد – الصوتي، والتجويدي، والنحوي الصرفي، واللهجي القرائي، والفونولوجي المعاصر – في إطار تحليلي واحد يربط بينها برباط العلة الصوتية الجامعة، وهو أمر لم تتصد له – في حدود اطلاع الباحث – دراسة مفردة بهذا التكامل، مع أن كل دراسة من الدراسات المذكورة قدمت إسهاماً قيّماً في جانب من جوانب الموضوع شكّل اللبنات الأساس التي قامت عليها هذه الدراسة.

تمهيد: الإطار النظري والمفاهيمي

اولاً: مصطلحات صوتية أساسية تحتاجها الدراسة

قبل الدخول في تفصيل مباحث الدراسة، يحسن تحديد عدد من المصطلحات الصوتية الأساسية التي سيتكرر استعمالها، تيسيراً على القارئ ودفعاً للالتباس. فمصطلح (المخرج) يُقصد به الموضع الذي يحدث فيه عائق أو تضييق لمجرى الهواء فينتج عنه الصوت، وتُصنف المخارج العربية تبعاً لذلك إلى مخارج شفوية وأسنانية ولثوية وغارية وطبقية ولهوية وحلقية وحنجرية، والهمزة – كما تقدم – من المخرج الحنجري الذي هو أبعد المخارج عن الشفتين أما مصطلح (الصفة) فيُقصد به الكيفية التي يخرج بها الهواء عند النطق بالصوت، وأهم الصفات المتقابلة في هذه الدراسة صفتا (الشدة) و(الرخاوة)؛ فالشدة هي الانحباس التام لمجرى الهواء كما في الهمزة والقاف والطاء، والرخاوة هي استمرار جريان

ثانيا: مفهوم الجهد العضلي والاقتصاد في اللغة

ينطلق الدرس الصوتي الحديث من مبدأ أساس مفاده أن الأجهزة النطقية تنزع بطبيعتها إلى تحقيق أكبر قدر من الإفهام بأقل جهد عضلي ممكن، وهو ما يُعرف بمبدأ (الاقتصاد في الجهد) أو (مبدأ أقل جهد) [28]. وبناءً على هذا المبدأ، فإن أي تتابع صوتي يتطلب انتقالاً سريعاً بين وضعين متباعدين لأعضاء النطق يُعد تتابعاً مكلفاً، ويميل اللسان – مع مرور الوقت – إلى التخفف منه بإحدى طرق عدة: تقريب أحد الصوتين من الآخر (كالتسهيل)، أو استبدال أحدهما بصوت أقرب إلى جاره (كالإبدال)، أو حذف أحد العنصرين (كالحذف والنقل).وهذا المبدأ، وإن صيغ بمصطلحات حديثة، تمتد جذوره إلى النظر اللغوي العربي القديم؛ فقد عبّر عنه النحاة بعبارات نحو (استثقال توالي همزتين)، أو (كراهة اجتماع صوتين متماثلين)، أو (طلب التخفيف لكثرة الاستعمال) [29]. وهذه العبارات، على اختلاف صياغتها عن مصطلح (الجهد العضلي)، تشير إلى نفس الملحوظة: أن بعض التتابعات الصوتية تُستثقل في النطق، وأن اللغة تنزع إلى تخفيفها بطرائق منهجية مطّردة.وعلى هذا الأساس، فإن الباحث في ظاهرة الهمزة وأصوات المد لا يقف أمام معطيات متناثرة من القواعد، بل أمام تطبيقات متعددة لمبدأ صوتي واحد، هو تجنب التتابعات الصوتية الشاقة على جهاز النطق وتحويلها إلى تتابعات أيسر أداءً، دون أن يفقد الكلام وضوحه أو دلالته [30].

ثالثا: التنافر الصوتي بين الهمزة وأصوات المد

يمكن وصف العلاقة بين الهمزة وأصوات المد بأنها علاقة تنافر صوتي من الدرجة الأولى؛ فالهمزة – كما سيأتي تفصيله – صوت شديد ينحبس معه الهواء انحباساً تاماً، في حين أن أصوات المد أصوات صائتة مفتوحة يجري معها الهواء جرياناً حراً دون أي اعتراض [31]. وإذا كان الانتقال بين صوتين متجاورين يقتضي حركة في أعضاء النطق من وضع إلى آخر، فإن الانتقال من وضع الانحباس التام (الهمزة) إلى وضع الانفتاح التام (المد)، أو العكس، يُعد من أكثر الانتقالات استهلاكاً للجهد العضلي، لأنه يتطلب تغيراً جذرياً ومفاجئاً في حالة المزمار والمجرى الصوتي. ولذلك فإن كل موضع تجتمع فيه الهمزة مع أحد أصوات المد – سواء تقدمت الهمزة على المد أم تأخرت عنه – يُعد موضعاً مهيأً لحدوث أحد التغيرات الصوتية التي تتناولها هذه الدراسة، وهي التسهيل والإبدال والنقل والحذف من جهة، وأحكام المد المتصل والمنفصل ومد البدل من جهة أخرى. ويمكن القول إن هذه الظواهر جميعاً ليست إلا أوجهاً متعددة لمعالجة هذا التنافر الأساس، تختلف باختلاف موضع الهمزة من حرف المد، وباختلاف اللهجة التي تنتمي إليها [32].

رابعا: منزلة الموازنة بين النظر القديم والحديث

تحرص هذه الدراسة على ألا تقف عند أحد الطرفين – القديم أو الحديث – بمعزل عن الآخر، بل تنطلق من قناعة بأن النظر القديم، بما فيه من دقة وصفية واستقراء واسع للشواهد، يمثل مادة خصبة يمكن للدرس الحديث أن يعيد قراءتها بأدواته التحليلية ومصطلحاته الدقيقة [33]. فحين يصف سيبويه الهمزة بأنها (أبعد الحروف مخرجاً) وأنها (تجيء نبرة في الصدر) [34]، فإن هذا الوصف – إذا أُعيدت صياغته بمصطلحات الدرس الحديث – يغدو وصفاً لصوت حنجري انفجاري، دون أن يتبدل المضمون الصوتي للملحوظة نفسها.وعلى هذا الأساس، تسير الدراسة في كل مبحث من مباحثها بخطوة مزدوجة: عرض ما ورد عند القدماء من وصف وتعليل، ثم إعادة قراءته بمصطلحات الدرس الصوتي الحديث، مع بيان أوجه التطابق أو الاختلاف بين المنهجين، خدمة للهدف العام المتمثل في تقديم تصور متكامل للظاهرة.الهواء كما في الفاء والثاء والسين. وبين هاتين الصفتين تقع صفة (التوسط)، وهي ما تتسم به بعض الأصوات التي لا تبلغ درجة الانحباس التام ولا درجة الجريان التام، وإليها تُنسب الهمزة المسهَّلة كما سيأتي [35].ومصطلحا (الجهر) و(الهمس) يتعلقان بحالة الوترين الصوتيين أثناء النطق؛ فالمجهور ما يهتز معه الوتران الصوتيان اهتزازاً منتظماً، والمهموس ما لا يصاحبه هذا الاهتزاز. وقد تقدم أن الهمزة موضع خلاف بين الفريقين بسبب طبيعتها الانفجارية الخاصة التي لا تترك للوترين فرصة الاهتزاز المنتظم [36].أما مصطلحا (التسهيل) و(الإبدال)، فالفرق الجوهري بينهما – كما سيُفصَّل في المبحث الثالث – أن التسهيل تغيير في صفة الصوت مع بقاء هويته، بينما الإبدال تغيير في هوية الصوت ذاته، أي إحلال صوت آخر محله. وأما (النقل) فهو انتقال الحركة من صوت إلى آخر مع حذف الصوت الأول، و(الحذف) إسقاط الصوت دون أي تعويض. وهذه التمييزات الأربعة هي عماد التحليل في هذه الدراسة [37].

خامساً: نظريات صوتية حديثة وتطبيقها على ظاهرة الهمزة وأصوات المد

يفرّق الدرس الحديث منهجياً بين علمين متكاملين: علم الأصوات (Phonetics)، وهو الذي يصف الأصوات وصفاً فيزيائياً بحتاً من حيث مخارجها وصفاتها وأطوالها الزمنية، بصرف النظر عن وظيفتها في النظام اللغوي؛ وعلم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا (Phonology)، وهو الذي يدرس كيف تنتظم هذه الأصوات في نسق نظامي داخل لغة بعينها، وكيف تتفاعل فيما بينها لتنتج تغيرات منتظمة كالإبدال والحذف [38]. وبهذا التفريق، يمكن القول إن وصف القدماء لمخرج الهمزة وصفتها (الشدة، أقصى الحلق) ينتمي إلى حقل الصوتيات (Phonetics)، بينما تفسيرهم لظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف بوصفها استجابة لاجتماع همزتين أو همزة وحرف مد ينتمي – من حيث الجوهر – إلى حقل الفونولوجيا (Phonology)، وإن لم يستعملوا هذا المصطلح.ومن أهم المفاهيم الفونولوجية التي تستثمرها هذه الدراسة مفهوم (مبدأ الاقتصاد / Economy Principle)، الذي صاغه عدد من الباحثين الغربيين انطلاقاً من أن المتكلمين ينزعون إلى تقليل الجهد الكلي المبذول في الإنتاج الكلامي، بحيث تتوزع التغيرات الصوتية على نحو يحقق أقصى وضوح بأقل جهد ممكن [39]. وهذا المفهوم هو الصياغة الحديثة لما عبّر عنه ابن جني بعبارة (التخفف من الثقل كلما أمكن ذلك)، وما عبّر عنه غيره من النحاة بعبارات (الاستثقال) و(طلب التخفيف) [40].ومن المفاهيم الأخرى ذات الصلة المباشرة مفهوم (العلامية / Markedness)، الذي يميز بين العناصر اللغوية (غير المعلَّمة)، أي الأبسط بنيوياً والأقل كلفة إدراكية ونطقية غالباً ضمن نظام لغوي بعينه، والعناصر (المعلَّمة)، أي الأكثر تعقيداً والأعلى كلفة ضمن النظام نفسه. ومن المهم التنبيه منذ البداية إلى أن (العلامية) مفهوم مغاير لمفهوم (العالمية اللغوية / Linguistic Universality)؛ فالعلامية حكم بنيوي يخص نظاماً لغوياً محدداً أو مقارنة بين عناصر ضمنه، بينما العالمية حكم يخص انتشار ظاهرة عبر لغات العالم، وقد يتقاطع المفهومان دون أن يتطابقا [41]. وفي ضوء هذا المفهوم، يمكن وصف الهمزة – بصفتها صوتاً انفجارياً حنجرياً (glottal stop) – بأنها صوت (معلَّم) مقارنة بأصوات المد (غير المعلَّمة) ضمن النظام الصوتي العربي تحديداً؛ فالهمزة أضيق توزيعاً وأعلى كلفة نطقية من أصوات المد داخل هذا النظام بعينه، لا بوصف ذلك حكماً عالمياً مطلقاً مستقلاً عن السياق يصح تعميمه على كل نظام صوتي في لغات العالم. ومن ثم فإن أي تتابع يجمع بين عنصر معلَّم (الهمزة) وعنصر غير معلَّم (حرف المد) داخل النظام العربي يكون تتابعاً (معلَّماً) من الدرجة الأولى، تنزع العربية إلى تجنبه أو تخفيفه [42].أما مفهوم (الجهد النطقي / Articulatory Effort)، فيشير إلى الكلفة العضلية الفعلية التي يتطلبها الانتقال بين وضعين نطقيين متباعدين؛ فكلما استلزم الانتقال بين صوتين متجاورين تغيراً جذرياً وسريعاً في وضع أعضاء النطق (كالانتقال من الانغلاق التام للهمزة إلى الانفتاح التام لحرف المد أو العكس)، ازدادت كلفة هذا الانتقال، وازداد احتمال أن تلجأ اللغة إلى أحد إجراءات التخفيف: تقريب أحد الصوتين من الآخر (تسهيل)، أو إلغاء أحدهما (إبدال أو حذف)، أو إضافة زمن انتقالي (مد) [43].ويمكن أيضاً توظيف (نظرية الأمثلية / Optimality Theory) في صياغة هذه الظواهر صياغة تفاضلية؛ فبدلاً من النظر إلى التسهيل والإبدال والنقل والحذف بوصفها (قواعد) منفصلة تُطبَّق بالترتيب، يمكن النظر إليها بوصفها (مخرجات محتملة) تتنافس على تمثيل المدخل نفسه (مثل: همزة + همزة، أو همزة + حرف مد)، ويفوز من بينها المخرج الذي يحقق أفضل توازن بين قيود

(الأمانة / Faithfulness)، التي تطالب ببقاء المدخل كما هو، وقيود (العلامية / Markedness)، التي تطالب بتجنب التتابعات المعلَّمة كاجتماع همزتين أو همزة وحرف مد [44]. وبحسب هذا النموذج، فإن اختلاف القراء واللهجات في معالجة الموضع نفسه (تحقيق، تسهيل، إبدال) يمكن تفسيره بكون كل قراءة أو لهجة تمثل ترتيباً مختلفاً (تفاضلاً مختلفاً) لهذه القيود نفسها، لا بكونها قواعد متباينة الجوهر.وبهذا، تقدم هذه الدراسة – في كل مبحث من مباحثها التالية – قراءة مزدوجة لكل ظاهرة: قراءة وصفية تستند إلى ما ورد عند النحاة والقراء، وقراءة تحليلية نقدية تستثمر مفاهيم الاقتصاد والعلامية والجهد النطقي والتفاضل بين القيود، موضحة في كل موضع أوجه التطابق والاختلاف بين المنهجين، وصولاً إلى إجابة عن أسئلة الدراسة الثلاثة المتقدمة في قسم الإشكالية.[45]

المبحث الأول: الهمزة ـ حقيقتها الصوتية وأنواعها

أولاً: مخرج الهمزة وصفاتها

الهمزة صوت يُنطق من أقصى الحلق عند الحنجرة، بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً يحبس الهواء الخارج من الرئتين، ثم انفراجهما فجأة بما يشبه الانفجار، فيندفع الهواء محدثاً الصوت المسموع [46]. وقد عدّها القدماء من أقصى الحروف مخرجاً، واتفق المحدثون على أنها أبعد أصوات العربية عن الفم، لأنها تخرج من الحنجرة نفسها لا من أعضاء النطق في تجويف الفم [47].ويمكن تفصيل آلية النطق بالهمزة في ثلاث مراحل متتابعة: مرحلة الانطباق، حيث يتلاقى الوتران الصوتيان تلاقياً تاماً يمنع مرور الهواء منعاً كلياً؛ ومرحلة الحبس، حيث يستمر الهواء القادم من الرئتين بالتجمع خلف الوترين المنطبقين دون أن يجد منفذاً؛ ومرحلة الانفجار، حيث ينفرج الوتران فجأة فيندفع الهواء المحتبس دفعة واحدة محدثاً ذلك الصوت الحنجري المميز للهمزة [48]. وهذه المراحل الثلاث هي ذاتها ما يصفه الصوتيون المحدثون عند تحليل أي صوت انفجاري، وإن اختلفت التسميات.وتتفق الهمزة مع الهاء في موضع المخرج العام، لكنها تفترق عنها في طريقة النطق؛ فالهاء صوت رخو يستمر معه جريان الهواء، أما الهمزة فصوت شديد ينقطع معه جريان الهواء انقطاعاً تاماً قبل أن ينفجر، وهذا الانقطاع المفاجئ هو ما يمنحها صفة الشدة التي تميزها عن سائر أصوات الحلق الأخرى [49].[50]ويمكن أيضاً عقد موازنة أخرى بين الهمزة والقاف؛ فكلاهما صوت شديد انفجاري، إلا أن القاف تخرج من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، بينما الهمزة تخرج من الحنجرة نفسها، وهو ما يجعل الهمزة أبعد الصوتين الانفجاريين مخرجاً، وأكثرهما ارتباطاً بالجهاز التنفسي مباشرة دون وساطة أعضاء النطق العليا [51].أما من حيث الجهر والهمس، فقد اختُلف فيها قديماً وحديثاً؛ فبعضهم عدّها مجهورة لما يصاحب انطباق الوترين من اهتزاز، بينما يميل أكثر الباحثين المحدثين إلى عدّها مهموسة، بناءً على أن الذبذبة الوترية المصحوبة بالجهر تستلزم استمرار جريان الهواء أثناء النطق، وهذا أمر لا يتحقق في صوت ينقطع معه الهواء انقطاعاً تاماً كما هي حال الهمزة [52].وحاول بعض الباحثين المحدثين التوفيق بين الرأيين بالقول إن الهمزة، من حيث طبيعتها الفيزيائية، صوت لا تنطبق عليه ثنائية الجهر والهمس انطباقاً تاماً، لأن هذه الثنائية مبنية أساساً على استمرار جريان الهواء أو انقطاعه أثناء النطق، والهمزة صوت لا يُنطق فيه بشيء أثناء مرحلة الانحباس، وإنما يحدث الصوت لحظة الانفجار فقط، وهي لحظة قصيرة جداً لا يتسع فيها الوقت لحدوث اهتزاز وتري واضح [53].ويترتب على هاتين الصفتين – الانحباس التام لمجرى الهواء، وقصر الزمن اللازم للانفجار – أن الهمزة لا تقبل الإطالة الزمنية بطبيعتها، بخلاف أصوات اللين التي يتسع زمن النطق بها اتساعاً ملحوظاً دون أن يفقدها ذلك هويتها الصوتية. وهذا الفارق الجوهري في إمكانية الإطالة هو الأساس الذي تُبنى عليه معظم الظواهر التي تتناولها هذه الدراسة في مباحثها اللاحقة [54].ويصف الدرس الصوتي الحديث الهمزة بأنها صوت (انفجاري حنجري)، مستعملاً مصطلحات تقابل ما وصفه القدماء بعبارات (الشدة) و(أقصى الحلق)، وهذا يدل على تطابق الملاحظة الصوتية بين المنهجين القديم والحديث وإن اختلفت المصطلحات [55].

ثانياً: أنواع الهمزة من حيث الموقع في بنية الكلمة

تتوزع الهمزة من حيث موضعها في الكلمة على ثلاثة مواقع: أول الكلمة، ووسطها، وآخرها. ولكل موضع من هذه المواضع سمات تتصل برسم الهمزة وضبطها [56]، لكن ما يهم هذه الدراسة منها هو الأثر الذي يتركه كل موضع في تهيئة الهمزة للتفاعل مع ما يجاورها من أصوات مد؛ فالهمزة في أول الكلمة تكون في الغالب منعزلة عن حروف المد بحركة قصيرة تفصل بينها وبين ما يليها، أما الهمزة المتوسطة والمتطرفة فهي الأكثر وقوعاً في جوار حروف المد مباشرة، ومن ثم فهي الأكثر عرضة لصور التسهيل والإبدال التي يفصلها المبحث الثالث.ويمكن النظر إلى كل موضع على حدة. فالهمزة الأولى – وهي همزة القطع في أول الاسم أو الفعل، نحو (أَكَلَ، أَحمد، إبراهيم) – تأتي غالباً متبوعة بحركة قصيرة، فلا يتجاور معها حرف مد مباشرة إلا في أبنية محدودة، مثل (آدم، آمن)، حيث تتحول الهمزة الثانية إلى مد بسبب اجتماع همزتين، وهو ما سيأتي تفصيله في باب الإبدال [57].

أما الهمزة المتوسطة، فهي أكثر المواضع اضطراباً وتنوعاً في الأداء؛ فقد تقع بعد حرف مد مباشرة كما في (سَأَل) حيث تسبقها فتحة لا مد، أو في (يَسْأَلون) حيث لا مد أيضاً، لكنها قد تقع بين حرفي مد كما في بعض صيغ الجموع، وهي مواضع تكثر فيها أوجه التسهيل والإبدال عند القراء [58].وأما الهمزة المتطرفة، فهي الأكثر تأثراً بالوقف؛ إذ يختلف حكمها بين حالة الوصل وحالة الوقف اختلافاً قد يصل إلى إبدالها بالكلية بحرف مد أو حرف لين عند بعض القراء، كما في الوقف على (يقرأ) و(الملأ)، وهو ما سيأتي تفصيله في مبحث التسهيل [59].

ثالثاً: همزة القطع وهمزة الوصل

تنقسم الهمزة من حيث ثباتها في النطق إلى قسمين:

١- همزة القطع: وهي همزة أصلية في بنية الكلمة، تثبت نطقاً في الابتداء والوصل على حد سواء، وترسم على صورة الألف، نحو: أَكَلَ، إِنَّ، أُمّ، وهي همزة مستقلة بذاتها، تلحق غالب الأسماء، وأفعال الثلاثي والرباعي ومضارعهما ومصدرهما، وجميع الحروف عدا (ال) [60].

وتُعد همزة القطع – من الناحية الصوتية – همزة كاملة الصفات، تتحقق في النطق تحققاً تاماً مهما تغير موضعها في الكلام، ولذلك فهي أكثر عرضة لأن تجتمع مع همزة أخرى أو مع حرف مد فينشأ عن ذلك ما يأتي تفصيله من صور الإبدال ومد البدل [61].

٢- همزة الوصل: وهي همزة عارضة، يُؤتى بها للتخلص من الابتداء بساكن، إذ تأبى العربية أن تبتدئ كلامها بحرف ساكن[62]. تثبت هذه الهمزة في النطق عند الابتداء بالكلمة، وتسقط عند وصلها بما قبلها، وتقع في أول الفعل الماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما، وفي أمر الثلاثي، وفي طائفة من الأسماء كـ(ابن، ابنة، اثنين، اثنتين، امرئ، امرأة، اسم، است)، وفي أداة التعريف (ال) [63]ومن الناحية الصوتية، يمكن النظر إلى همزة الوصل بوصفها (همزة وظيفية) لا (همزة أصلية)؛ فهي لا تحمل دلالة صرفية مستقلة، وإنما وُجدت لتيسير النطق بالساكن الأول من الكلمة، وهذا ما يفسر سقوطها عند الوصل: فحين يتصل آخر الكلمة السابقة بأول الكلمة الحالية، يزول السبب الذي من أجله أُتي بالهمزة، فتسقط تبعاً لزوال علتها [64].ويُستفاد من هذا التقسيم أن همزة الوصل لا تعدو أن تكون أداة صوتية وظيفتها تيسير الابتداء، فهي همزة طارئة زائلة، وهذا ما يقربها من باب النقل الذي تذوب فيه حركتها في الساكن السابق لها فتسقط هي من اللفظ، وهو ما سيأتي تفصيله.

رابعاً: تفاوت العرب في تحقيق الهمزة

رصد النحاة الأقدمون تبايناً واضحاً بين القبائل العربية في موقفها من الهمزة؛ فقبائل الحجاز، وفي مقدمتها قريش، عُرفت بميلها إلى تخفيف الهمزة بضروب شتى من التسهيل والإبدال والحذف، في حين عُرفت قبائل تميم وقيس وأسد ومن جاورها بالمحافظة على تحقيق الهمزة في جميع المواضع. وقد أفاض النحاة في وصف هذا التباين وصفاً يدل على وعي مبكر بالفروق الصوتية بين اللهجات [65].ويعزو بعض الباحثين هذا التفاوت إلى طبيعة الحياة الاجتماعية لكل من القبيلتين؛ فقبائل الحجاز – وهي قبائل مستقرة يغلب عليها طابع التجارة والحضر – كانت أكثر ميلاً إلى السرعة في الأداء الكلامي، فاتجهت إلى تخفيف الأصوات الثقيلة كالهمزة. أما قبائل تميم وأسد – وهي قبائل بدوية يغلب عليها طابع الفصاحة والمحافظة على أصول الكلام – فكانت أكثر تمسكاً بتحقيق الهمزة، باعتباره جزءاً من فصاحتها التي تفاخر بها [66]وهذا التفاوت اللهجي، كما سيتضح في المبحث الرابع، ليس مجرد ملحوظة تاريخية عابرة، بل هو مفتاح أساس لفهم كثير من أوجه القراءات القرآنية المتواترة في باب الهمز، إذ إن هذه الأوجه ليست إلا انعكاساً لتلك اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم أو التي قُرئ بها تيسيراً على القبائل.

تحليل نقدي: سيبويه وابن جني في ميزان الفونولوجيا الحديثة

يكشف فحص نص سيبويه عن الهمزة – بوصفه (أبعد الحروف مخرجاً) وأنه (يجيء نبرة في الصدر) [67] – عن دقة وصفية لافتة؛ فعبارة (نبرة في الصدر) تشير ضمناً إلى أن مصدر الصوت هو الحنجرة لا أعضاء النطق العليا، وهو ما يطابق تماماً التوصيف الفونيتيكي الحديث للصوت الانفجاري الحنجري (glottal stop) من حيث موضع إنتاجه. ومن هذه الزاوية، فإن النظرية الصوتية الحديثة لا تنقض وصف سيبويه، بل تعيد صياغته بمصطلحات أكثر دقة دون أن تضيف إليه مضموناً جديداً جوهرياً [68].غير أن الأمر يختلف عند الانتقال إلى مستوى التفسير لا الوصف؛ فحين يعلل ابن جني ظواهر الإبدال والحذف بعبارات (استثقال توالي همزتين) أو (طلب التخفيف لكثرة الاستعمال) [69]، فإنه يقدم تفسيراً (وظيفياً عاماً) لا يحدد آلية هذا (الاستثقال) ولا يربطه بدرجة العلامية (Markedness) النسبية بين الأصوات المتجاورة، ولا يوضح لماذا يُختار الإبدال في موضع والتسهيل في موضع آخر والحذف في ثالث. وهنا تحديداً تضيف الفونولوجيا المعاصرة – بمفهومي العلامية والتفاضل بين القيود – بعداً تفسيرياً جديداً لم يكن حاضراً صراحة عند ابن جني: فالاختيار بين التسهيل والإبدال والحذف ليس اختياراً حراً، بل هو محصلة تفاضل بين قيود متعارضة (الأمانة مقابل العلامية)، يحسمه السياق الصرفي والصوتي لكل كلمة على حدة [70]ومن مواضع الاتفاق اللافتة أيضاً ما يخص (مد البدل)؛ فحين يصف القراء حكمه بالقصر لكون الهمزة فيه متقدمة على حرف المد، فإن هذا التفسير يطابق – كما تقدم في المبحث الثالث – مبدأ الجهد النطقي الحديث القائل بأن الانتقال من صوت معلَّم (الهمزة) إلى صوت غير معلَّم (المد) انتقال منخفض الكلفة لا يحتاج زمناً

تعويضياً [71]. فالقدماء توصلوا – بالملاحظة والاستقراء – إلى نتيجة تتفق مع ما تتنبأ به النماذج الفيزيائية الحديثة لكلفة الانتقال بين الأصوات، وإن لم يصوغوا ذلك في معادلات أو نماذج كمية.ومع ذلك، تبقى هناك مواضع قصور حقيقية في التراث لا تستوعبها إعادة الصياغة الحديثة وحدها، أبرزها مسألة الجهر والهمس في الهمزة؛ فالخلاف القديم حولها – كما تقدم – خلاف وصفي لم يُحسم، بينما تقدم الفونيتيكا الحديثة أدوات قياس مخبرية (كالتصوير بالأشعة، وتحليل الطيف الصوتي) يمكنها حسم هذا الخلاف حسماً تجريبياً لم يكن متاحاً للقدماء [72]. وهذا الموضع تحديداً يمثل إجابة جزئية عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة: النظريات الحديثة لا تفسر كل تعليلات القدماء بإعادة صياغتها فحسب، بل تتجاوزها أحياناً إلى حسم مسائل ظلت عند القدماء معلقة بطبيعة أدواتهم الوصفية لا التجريبية.

خامساً: خلاصة المبحث

يخلص هذا المبحث إلى أن الهمزة صوت متفرد في النظام الصوتي العربي، يجمع بين بُعد المخرج (الحنجرة) وشدة الصفة (الانفجار التام)، وأن هذين العاملين معاً هما ما يجعلانها أكثر الأصوات تنافراً مع أصوات المد. كما يخلص إلى أن تنوع مواضع الهمزة في الكلمة (أولاً ووسطاً وآخراً)، وتنوع نوعها (قطعاً ووصلاً)، وتفاوت القبائل في تحقيقها، عوامل تتضافر لتهيئة البيئة الصوتية التي تنشأ فيها الظواهر التي سيتناولها المبحثان الثالث والرابع.

سادساً: الهمزة في ضوء اللغات السامية المقارنة

تحظى الهمزة بمكانة خاصة في الدرس السامي المقارن؛ فهي من الأصوات المشتركة بين العربية وأخواتها من اللغات السامية كالعبرية والسريانية والأكادية، إلا أن درجة المحافظة عليها تتفاوت من لغة إلى أخرى. فبينما تحافظ العربية الفصحى على الهمزة في مواضع كثيرة، نجد أن بعض اللغات السامية الأخرى فقدت كثيراً من همزاتها أو أبدلتها بأصوات لينة منذ مراحل مبكرة من تطورها التاريخي [73].ويرى بعض الباحثين أن ما لحق بالهمزة في اللهجات العربية الحديثة – من ضعف نطقها أو سقوطها بالكلية في النطق العامي – ليس ظاهرة مستحدثة، بل هو امتداد لمسار تاريخي طويل بدأت بوادره منذ العصر الجاهلي في لهجات التخفيف الحجازية، واستمر عبر العصور حتى وصل إلى صورته الحالية في كثير من اللهجات العربية المعاصرة التي تكاد تخلو من الهمزة المحققة في الكلام العفوي [74].ومن هنا تتضح القيمة المنهجية لدراسة ظاهرة الهمزة وأصوات المد في إطار تاريخي ممتد، يبدأ من اللهجات القديمة التي حفظتها القراءات، ولا ينتهي عند حدود الفصحى التراثية، بل يمتد ليشمل تفسير الظواهر الصوتية في العامية المعاصرة، بوصفها امتداداً طبيعياً لنفس مبدأ التخفيف الذي تتحدث عنه هذه الدراسة.[75]

■ **ملخص المبحث الأول**

١. **المخرج والصفة:** الهمزة صوت حنجري انفجاري شديد يمر بثلاث مراحل: الانطباق، والحبس، والانفجار. وهي أبعد الأصوات العربية مخرجاً، تفترق عن الهاء بالشدة، وعن القاف بعمق المخرج الحنجري.

٢. **الجهر والهمس:** الخلاف في جهر الهمزة وهمسها قديم وحديث؛ وأكثر المحدثين يعدّونها مهموسة لأن طبيعتها الانفجارية لا تتيح وقتاً للاهتزاز الوتري المنتظم.

٣. **مواضع الهمزة في الكلمة:** تقع في أول الكلمة ووسطها وآخرها. والأكثر تعرضاً للتفاعل مع أصوات المد هي الهمزة المتوسطة والمتطرفة لوقوعهما في جوار حروف المد مباشرة.

٤. **همزة القطع وهمزة الوصل:** همزة القطع أصلية ثابتة في الوصل والابتداء وهي الأكثر تفاعلاً مع أصوات المد. وهمزة الوصل وظيفية عارضة تسقط عند الوصل بزوال علتها.

٥. **التفاوت اللهجي:** قريش والحجاز ميّالة إلى تسهيل الهمزة، بينما تميم وقيس وأسد يحقّقونها. هذا التباين ينعكس على أوجه القراءات المتواترة وجذوره اجتماعية وجغرافية.

٦. **القديم والحديث:** وصف سيبويه للهمزة بـ(نبرة في الصدر وأبعد الحروف مخرجاً) يطابق توصيفها الحديث بوصفها Glottal Stop، مما يؤكد دقة الملحوظة الصوتية عند القدماء. غير أن الفونيتيكا الحديثة تتفوق في حسم مسألة الجهر والهمس بأدوات قياس مخبرية لم تكن متاحة للقدماء.

المبحث الثاني: أصوات المد وأقسام المد المتصلة بالهمز

أولاً: حقيقة أصوات المد

يُقصد بأصوات المد كل من الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وتجمع هذه الأصوات الثلاثة صفة الانفتاح التام لمجرى الهواء، بحيث يمر الهواء دون أن يعترضه عضو من أعضاء النطق اعتراضاً يحدث احتكاكاً أو انحباساً، وهذا ما يجعلها قابلة للإطالة الزمنية دون أن يتغير جرسها [76].ويُلاحظ أن أصوات المد الثلاثة، مع اشتراكها في صفة الانفتاح، تختلف

فيما بينها من حيث موضع تضييق القناة الصوتية تضييقاً نسبياً؛ فالألف يكون فيها اللسان في أدنى وضع له، فينفتح المجرى الصوتي أكبر انفتاح، ولذلك تُعد أكمل أصوات المد انفتاحاً. أما الواو فيرتفع فيها مؤخر اللسان نحو الحنك مع استدارة الشفتين، فيضيق المجرى نسبياً مقارنة بالألف. وأما الياء فيرتفع فيها مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى، فيضيق المجرى من جهة مقدمة الفم [77]. وهذا التفاوت في درجة الانفتاح، وإن كان يسيراً، له أثر – كما سيأتي – في تفاوت سهولة الإبدال بين أصوات المد الثلاثة.وأطلق القراء على وحدة الزمن الأساسية في المد اسم (الحركة)، وهي تقدّر بزمن نطق الحرف المتحرك حركة قصيرة كالفتحة أو الضمة أو الكسرة، فإذا قيل إن المد الطبيعي بمقدار حركتين، فمعنى ذلك أن زمن النطق بحرف المد يعادل ضعف زمن النطق بالحركة القصيرة المقابلة له [78].[79]ولكل حرف من حروف المد الثلاثة صلة وثيقة بإحدى الحركات القصيرة الثلاث، فالألف امتداد للفتحة، والواو امتداد للضمة، والياء امتداد للكسرة، وهذا التناظر بين الحركة القصيرة وحرف المد الطويل المقابل لها هو الأساس الذي تقوم عليه ظاهرة الإبدال التي يفصلها المبحث الثالث، إذ إن إبدال الهمزة الساكنة حرف مد لا يكون إلا من جنس الحركة التي قبلها [80].ويمكن تمثيل هذا التناظر بمخطط مبسط: فالفتحة زمنياً هي نصف الألف، والضمة نصف الواو، والكسرة نصف الياء؛ ومن ثم فأي همزة ساكنة تسبقها فتحة، إذا أُبدلت، فلن تُبدل إلا ألفاً؛ وأي همزة ساكنة تسبقها ضمة، إذا أُبدلت، فلن تُبدل إلا واواً؛ وأي همزة ساكنة تسبقها كسرة، إذا أُبدلت، فلن تُبدل إلا ياءً. وهذا قانون مطّرد لا يتخلف، وهو ما يجعل ظاهرة الإبدال – مع كونها تغييراً صوتياً – محكومة بقاعدة صارمة لا تحتمل العشوائية [81].

ثانياً: أقسام المد ذات الصلة بالهمز

يفرّق علماء التجويد بين المد الطبيعي والمد الفرعي؛ فالمد الطبيعي ما لا يتوقف على سبب، ويكتفى فيه بمقدار حركتين، نحو: قال، يقول، قيل. أما المد الفرعي فهو ما زاد على ذلك بسبب من همز أو سكون [82]، ومن أهم أقسامه المرتبطة بالهمز:

– المد المتصل: ويكون حين يقع بعد حرف المد همزة في الكلمة نفسها، نحو: السماء، جاء، يشاء، وقد اتفق القراء على وجوب مده بمقدار يزيد على المد الطبيعي [83].

– المد المنفصل: ويكون حين يقع حرف المد آخر كلمة وتأتي همزة في أول الكلمة التالية، نحو: قالوا آمنا، يا أيها، وقد اختُلف فيه بين القصر والمد على أوجه متعددة بحسب الروايات [84].

– مد البدل: ويكون حين تتقدم الهمزة على حرف المد في الكلمة الواحدة، نحو: آمن، إيمان، أوتي، وحكمه القصر عند جمهور القراء [85].

أما المد اللازم والمد العارض للسكون فهما متعلقان بمجاورة حرف المد للسكون لا بالهمز، ولذلك يخرجان عن دائرة هذه الدراسة وإن كان ذكرهما لازماً لاكتمال الصورة العامة لأقسام المد [86].

نماذج تطبيقية على أقسام المد الثلاثة

ومن المفيد، تمثيلاً لما تقدم، عرض طائفة من الشواهد القرآنية الموزعة على الأقسام الثلاثة. ففي المد المتصل، ترد كلمات مثل (السماء)، و(جاء)، و(سوء)، و(يشاء)، حيث تأتي الهمزة عقب حرف المد مباشرة في الكلمة نفسها، فيُمد حرف المد مداً واجباً متصلاً بمقدار أربع أو خمس حركات حسب مذاهب القراء [87].وفي المد المنفصل، ترد تراكيب مثل (قالوا آمنا)، و(يا أيها الذين)، و(في أنفسكم)، حيث ينتهي حرف المد بكلمة ويبدأ السياق التالي بهمزة في كلمة أخرى، فيكون المد جائزاً يتراوح بين القصر بمقدار حركتين والمد بمقدار أربع أو خمس حركات بحسب الرواية [88].

وفي مد البدل، ترد كلمات مثل (آمن)، و(إيمان)، و(أوتي)، و(آدم)، حيث تتقدم الهمزة على حرف المد في الكلمة الواحدة نتيجة إبدال همزة ساكنة سابقة كما سيأتي تفصيله، فيكون المد فيه بمقدار حركتين عند جمهور القراء، مع استثناءات قليلة عند ورش عن نافع [89].ويُلحظ أن الأقسام الثلاثة المتقدمة – المتصل والمنفصل والبدل – تشترك في سبب واحد هو الهمز، وتختلف فيما بينها بحسب موضع الهمزة من حرف المد: أهي بعده في الكلمة نفسها، أم بعده في كلمة تالية، أم قبله؟ وهذا الاختلاف في الموضع هو مدار التحليل الذي يفصله المبحث الثالث.

جدول (٥): موازنة بين أقسام المد الثلاثة المتصلة بالهمز

القسم	موضع الهمزة من المد	الحكم	المقدار التقريبي	التفسير الصوتي
المد المتصل	بعد المد، في الكلمة نفسها	وجوب المد	٤–٥ حركات	أعلى كلفة انتقالية: من انفتاح تام إلى انغلاق تام
المد المنفصل	بعد المد، في كلمة تالية	جواز المد (قصر/توسط/إشباع)	٢–٥ حركات	كلفة متوسطة بسبب فاصل الكلمة

مد البدل	قبل المد، في الكلمة نفسها	القصر عند الجمهور	حركتان	أدنى كلفة: من انغلاق إلى انفتاح

ثالثاً: الفرق بين أصوات المد وأصوات اللين

من المسائل التي ينبغي توضيحها في هذا المبحث التمييز بين أصوات المد وأصوات اللين، فكلاهما من الواو والياء الساكنتين، إلا أن أصوات المد هي الواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، بينما أصوات اللين هي الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما، نحو (بيت) و(يوم) [90]. والفارق بين النوعين فارق جوهري في سياق هذه الدراسة؛ فأصوات المد هي وحدها التي ترتبط بأحكام المد المتصل والمنفصل والبدل، أما أصوات اللين فترتبط بالمد العارض للسكون أو مد اللين، وهو خارج عن نطاق هذه الدراسة كما تقدم.وتزداد أهمية هذا التمييز حين نلاحظ أن بعض صور الإبدال التي يتناولها المبحث الثالث تُحوّل الهمزة إلى حرف لين لا إلى حرف مد بمعناه الاصطلاحي الدقيق، كما في إبدال الهمزة المتطرفة المفتوح ما قبلها ألفاً عند الوقف في بعض اللهجات، وهو إبدال يقترب من حرف اللين أكثر من اقترابه من حرف المد الموصوف بالمد الطبيعي [91].

تحليل نقدي: هل يفسر الاقتصاد الصوتي وحده تفاوت أحكام المد؟

يقدم مبدأ الاقتصاد الصوتي ومفهوم الجهد النطقي تفسيراً عاماً مقنعاً لاتجاه التدرج بين الوجوب والجواز والقصر في أحكام المد المتصل والمنفصل والبدل، كما تقدم. غير أن النظر الناقد يكشف أن هذا المبدأ – بصيغته العامة – يفسر (الاتجاه) في التدرج، ولا يفسر بالضرورة (المقادير) المحددة التي استقر عليها كل قسم (أربع حركات، خمس حركات، حركتان)؛ فلا يوجد – من الناحية الفيزيائية البحتة – ما يمنع أن يكون المد المتصل بمقدار ثلاث حركات بدلاً من أربع، أو أن يكون مد البدل بمقدار حركة ونصف بدلاً من حركتين [92].وهذا يقود إلى استنتاج مهم: أن العلة الصوتية العامة (الاقتصاد، الجهد النطقي) تفسر لماذا توجد أحكام متدرجة أصلاً، وتفسر اتجاه التدرج (من الأثقل إلى الأخف يقابله من الأوجب إلى الأخف)، لكنها لا تفسر القيم العددية الدقيقة لهذا التدرج؛ وهذه القيم – في ضوء ما يرويه الداني وابن الجزري – تبدو محكومة بعامل إضافي هو التوارث السماعي المضبوط بالسند، الذي قد يثبّت قيمة بعينها من بين قيم متقاربة محتملة جميعها صوتياً، ثم تستقر هذه القيمة عرفاً أداء متوارثاً [93].ومن هنا تتضح إجابة جزئية ثانية عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة: العلة الصوتية الحديثة تفسر (لماذا توجد الظاهرة وفي أي اتجاه تسير)، لكنها لا تُغني عن السند في تحديد (مقدارها الدقيق المعتمد)؛ وبذلك يلتقي البعدان – الصوتي التفسيري والسندي النقلي – في تكامل لا تعارض، وهو ما يُعد إجابة جديدة – لا وصفية – عن طبيعة العلاقة بين النظرية الصوتية والنقل القرائي.[94]

رابعاً: خلاصة المبحث

يخلص هذا المبحث إلى أن أصوات المد الثلاثة تشترك في صفة الانفتاح التام والقابلية للإطالة الزمنية، وأن كل واحد منها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بإحدى الحركات القصيرة الثلاث، وهو ما يحكم ظاهرة الإبدال. كما يخلص إلى أن أقسام المد المرتبطة بالهمز – المتصل والمنفصل والبدل – تمثل ثلاث صور لعلاقة واحدة بين الهمزة وحرف المد، تختلف باختلاف ترتيب العنصرين، وأن هذا الاختلاف في الترتيب هو الذي يفسر التفاوت في أحكام المد بين الوجوب والجواز والقصر، كما سيتضح في المبحث الثالث.

خامساً: العلاقة بين كمية المد وجودته

من المسائل الدقيقة التي يعرض لها الدرس الصوتي الحديث التمييز بين كمية الصوت وجودته؛ فالكمية تتعلق بالزمن الذي يستغرقه النطق بالصوت، أما الجودة فتتعلق بالخصائص الطيفية التي تميز صوتاً عن آخر بصرف النظر عن زمنه. وأصوات المد العربية تتميز بأن كميتها متغيرة (قابلة للزيادة والنقصان حسب السياق)، بينما جودتها ثابتة نسبياً (فالألف تظل ألفاً سواء قُصرت أم مُدت) [95].وهذا التمييز يفسر سبب قدرة أصوات المد على تحمل أحكام المد المختلفة (القصر، والتوسط، والإشباع) دون أن تفقد هويتها الصوتية؛ فالتغير في زمن النطق بالألف في كلمتي (قال) و(جاء) لا يحوّل الألف إلى صوت آخر، وإنما يبقيها ألفاً مع تفاوت في مدتها الزمنية فحسب. وهذه الخاصية – القابلية للتطويل دون تغير الهوية – هي بعينها الخاصية التي تفتقر إليها الهمزة، باعتبارها صوتاً انفجارياً لا يقبل التطويل أصلاً، كما تقدم في المبحث الأول [96].

ويترتب على هذا أن أحكام المد – من حيث هي زيادة في الكمية الزمنية لصوت المد – هي في حقيقتها إجراء تعويضي يهدف إلى استيعاب صعوبة الانتقال إلى صوت الهمزة المجاور أو منه، دون أن يمس ذلك جودة صوت المد نفسه. وهذا ما يفسر أيضاً سبب عدم وجود (مد للهمزة) في المقابل، إذ إن الهمزة – بحكم طبيعتها الانفجارية – لا مجال لزيادة كميتها الزمنية أصلاً [97].

■ **ملخص المبحث الثاني**

١. **حقيقة أصوات المد:** الألف والواو والياء أصوات صائتة يجري معها الهواء جرياناً تاماً دون اعتراض. تشترك في الانفتاح وقابلية الإطالة الزمنية، وتختلف في درجة ارتفاع اللسان وموضع التضييق النسبي.

٢. **التناظر بين المد والحركات القصيرة:** الألف امتداد للفتحة، والواو امتداد للضمة، والياء امتداد للكسرة. هذا التناظر هو الأساس الذي يحكم قانون الإبدال: تُبدَل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها حصراً.

٣. **أقسام المد المتصلة بالهمز:** ثلاثة أقسام تتمايز بموضع الهمزة من حرف المد: (أ) المد المتصل: الهمزة بعد المد في الكلمة نفسها – واجب (٤–٥ حركات). (ب) المد المنفصل: الهمزة بعد المد في كلمة تالية – جائز (٢–٥ حركات). (ج) مد البدل: الهمزة قبل المد – قصر (حركتان).

٤. **العلة الصوتية للتدرج:** التدرج من الوجوب إلى الجواز إلى القصر يطابق تدرجاً في الكلفة النطقية: الانتقال من الانفتاح التام (المد) إلى الانغلاق التام (الهمزة) أشق من عكسه، فوجب للأول مد أطول تهيئةً للجهاز النطقي.

٥. **حدود التفسير الصوتي:** مبدأ الاقتصاد الصوتي يفسر اتجاه التدرج لا مقاديره الدقيقة (٤ حركات أو ٥). المقادير محكومة بعامل إضافي هو التوارث السماعي المسند، مما يجعل العلاقة بين الصوتيات والسند علاقة تكامل لا إحلال.

المبحث الثالث: محور التفاعل الصوتي بين الهمزة وأصوات المد

يقوم التفاعل بين الهمزة وأصوات المد على مبدأ أساس هو التنافر بين صوت شديد ينحبس معه الهواء انحباساً مفاجئاً، وأصوات لينة يجري معها الهواء جرياناً متصلاً [98]. فإذا تجاور الصوتان، إما في كلمة واحدة وإما في كلمتين متلاصقتين في النطق، نشأ عن ذلك ثقل أدائي عولج بوسائل متدرجة في شدتها، أبرزها التسهيل، فالإبدال، فالنقل، فالحذف، وهي وسائل سيأتي تفصيلها فيما يأتي.ويمكن النظر إلى هذه الوسائل الأربع على أنها تمثل سلماً متدرجاً من حيث درجة التغيير الذي يلحق الهمزة؛ فالتسهيل أخف هذه الوسائل أثراً، إذ يُبقي على الهمزة موجودة في النطق مع تخفيف صفتها فحسب؛ يليه الإبدال، الذي يستبدل بالهمزة صوتاً آخر مع الإبقاء على الزمن الصوتي الذي كانت تشغله؛ يليه النقل، الذي ينقل أثر الهمزة (حركتها) إلى صوت مجاور ثم يُسقطها؛ وأخيراً الحذف، الذي يُسقط الهمزة وأثرها معاً دون أي تعويض [99]. وهذا الترتيب التصاعدي في شدة التغيير سيكون الإطار الناظم لما يأتي من تفصيل.***جدول (١): موازنة عامة بين تفسير القدماء وتفسير المحدثين لظواهر الهمزة وأصوات المد***

الظاهرة	تفسير القدماء	تفسير المحدثين	النتيجة التحليلية
التسهيل	صوت بين بين، تخفيف لصفة الهمزة	صوت احتكاكي حنجري وسيط بين الانفجاري والصائت	تطابق وصفي تام مع زيادة دقة المصطلح
الإبدال	إعلال بالقلب، استثقال توالي همزتين	إزالة تتابع معلَّم عبر تفاضل الأمانة/العلامية	تطابق في النتيجة، واختلاف في صياغة الآلية
النقل	نقل الحركة إلى الساكن وحذف الهمزة	إعادة توزيع للسمات تخفيفاً للجهد النطقي	تكامل تفسيري دون تعارض
الحذف	إسقاط الهمزة لكثرة الاستعمال	حذف العنصر الأعلى كلفة (الأكثر علامية)	تطابق مع إضافة معيار الكلفة النسبية
أحكام المد	تفاوت الوجوب والجواز والقصر بحسب موضع الهمزة	طول تعويضي يتناسب مع كلفة الانتقال بين الصوتين	تفسير حديث يعمّق العلة دون نقض الحكم

أولاً: التسهيل بين بين

يُراد بالتسهيل النطق بالهمزة على صورة وسطى بين تحقيقها وبين الحرف الذي يجانس حركتها؛ فالهمزة المفتوحة تُسهَّل بصوت بين الهمزة والألف، والمضمومة بصوت بين الهمزة والواو، والمكسورة بصوت بين الهمزة والياء [100]. وبهذا يقترب نطق الهمزة من أصوات المد اقتراباً ملحوظاً، إذ تفقد شيئاً من شدتها الانفجارية لتكتسب شيئاً من ليونة الصوت المجانس لحركتها.ومن الناحية الصوتية البحتة، يمكن وصف الهمزة المسهَّلة بأنها صوت احتكاكي حنجري، أي إنها تحتفظ بمخرج الهمزة (الحنجرة) لكنها تفقد صفة الانفجار التام لتكتسب صفة الاحتكاك، وهي صفة وسطى بين الانحباس التام والانفتاح التام [101]. وهذا يفسر لماذا وصفها القدماء بأنها (لا همزة محققة ولا حرف مد خالص)، فهي – بهذا الوصف – صوت

ثالث مستقل بذاته، وإن كان أقرب في خصائصه الصوتية إلى الهمزة منه إلى حرف المد.ومن مواضع التسهيل المعروفة في القراءات تسهيل الهمزة الثانية عند اجتماع همزتين في كلمة واحدة كـ(أأنذرتهم)، وتسهيل الهمزة المتطرفة بعد فتح عند الوقف عليها في نحو (يقرأ)، حيث ينطق بها صوت لا يخلص للهمزة الصريحة ولا يخلص للألف، وهو وصف يطابق ما يعرفه علم الأصوات الحديث من وجود أصوات وسطى بين الأصوات الانفجارية والأصوات الصائتة [102].ومن الأمثلة الإضافية على التسهيل في القراءات المتواترة: تسهيل همزة (أَإِنَّكُم) و(أَإِذَا)، حيث تُسهَّل الهمزة الثانية المكسورة بعد همزة الاستفهام المفتوحة، فينتج عنها صوت بين الهمزة والياء؛ وكذلك تسهيل همزة (أُولَئِكَ) عند بعض القراء، وتسهيل الهمزة المضمومة في (أُؤْلِقِيَ) [103]. وهذه الأمثلة جميعاً تؤكد أن التسهيل ليس ظاهرة معزولة في كلمات قليلة، بل هو نمط صوتي مطرد كلما تحققت شروطه من اجتماع همزتين أو وقوع همزة في موضع يثقل فيه التحقيق.ويفترق التسهيل عن الإبدال في أنه يبقي على وجود الهمزة في النطق، وإن خفّ أداؤها، في حين يستبدل الإبدال بالهمزة صوتاً آخر مغايراً لها مغايرة تامة، كما يأتي.

جدول (٢): نماذج من التسهيل في القراءات المتواترة

الكلمة	الموضع/السبب	صورة التسهيل	القارئ/الرواية
أَأَنذَرْتَهُم	اجتماع همزتين في كلمة واحدة	تسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف	أبو عمرو وقالون وغيرهم
يَقْرَأ (وقفاً)	همزة متطرفة بعد فتح عند الوقف	صوت بين الهمزة والألف	حمزة وقفاً
أَإِنَّكُم	همزة استفهام + همزة مكسورة	تسهيل الثانية بين الهمزة والياء	نافع وأبو عمرو
أُؤْلِقِيَ	همزة مضمومة بعد همزة مضمومة	تسهيل الثانية بين الهمزة والواو	ورش عن نافع

ثانياً: الإبدال

يُراد بالإبدال إحلال صوت محل آخر تخفيفاً للنطق [104]، وله صورتان رئيستان فيما يخص الهمزة وأصوات المد:الصورة الأولى: إبدال الهمزة الساكنة حرف مد إذا سبقتها همزة متحركة، كما في (آمن) أصلها (أأمن)، و(إيمان) أصلها (إئمان)، و(أوتي) أصلها (أؤتي). ففي هذه الأمثلة اجتمعت همزتان متجاورتان، الأولى متحركة والثانية ساكنة، فأُبدلت الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى، تخلصاً من توالي صوتين متماثلين في المخرج، وهو توالٍ مستثقل عند العرب [105]. وهذا هو أصل ما يسميه القراء (مد البدل).ويمكن توضيح هذه الصورة بمزيد من الأمثلة: فكلمة (آدم) أصلها (أَأْدَم)، اجتمعت فيها همزتان: الأولى مفتوحة متحركة، والثانية ساكنة، فأُبدلت الساكنة ألفاً لمناسبة فتحة ما قبلها؛ وكلمة (أُوتوا) أصلها (أُؤْتُوا)، اجتمعت فيها همزة مضمومة متحركة وهمزة ساكنة بعدها، فأُبدلت الساكنة واواً لمناسبة الضمة؛ وكلمة (إيتاء) أصلها (إئْتاء)، اجتمعت فيها همزة مكسورة متحركة وهمزة ساكنة بعدها، فأُبدلت الساكنة ياءً لمناسبة الكسرة [106]. وهذه الأمثلة الثلاثة تمثل التطبيق العملي للقانون الذي تقدم ذكره في المبحث الثاني، وهو أن إبدال الهمزة الساكنة يكون دائماً من جنس حركة ما قبلها.الصورة الثانية: إبدال الهمزة المتطرفة صوتاً آخر فعلياً (ياءً غالباً) بحسب حركتها وحركة ما قبلها، كإبدال همزة (خَطِيئَة) ياءً في بعض اللهجات لتصبح (خطيّة)، وإبدال همزة (النَّبِيء) ياءً لتصبح (النبيّ) في اللغة الفصيحة المستقرة، وإن كان أصل الكلمة مهموزاً كما تشهد له صيغة (الأنبياء) و(تنبّأ). وخلافاً للصورة الأولى، لا يشترط هذا الإبدال اجتماع همزتين، بل يكفي فيه وقوع الهمزة متطرفة في سياق يثقل فيه تحقيقها [107].[108]وينبغي التمييز بين هذا الإبدال الصوتي الحقيقي وبين ظاهرة أخرى تشبهه في المظهر الكتابي دون أن تتفق معه في الجوهر، وهي اختيار كرسي الهمزة المتطرفة كتابةً في مثل (يستهزئون) و(مستهزئين)؛ فالهمزة فيهما تبقى منطوقة همزة محققة في الفصحى، ولا يتغير سوى الحرف الذي تُرسم عليه (الياء في الكلمتين)، تبعاً لكون الحرف الذي يسبق الهمزة فيهما (الزاي) مكسوراً في الحالين، والكسرة أقوى الحركات فتُرجَّح في اختيار الكرسي بصرف النظر عن حركة الهمزة نفسها (وهي مضمومة في الأولى تبعاً لإعرابها، ومكسورة في الثانية تبعاً لياء الجمع). وهذه الظاهرة الرسمية تقوم من حيث المبدأ على التفاضل نفسه بين قوة الحركات الذي يحكم الإبدال الصوتي الحقيقي، وإن اختلف عنه في مجال التطبيق (الرسم لا النطق)، وهي صور فصّلها الصرفيون واللغويون في أبواب الرسم والإعلال [109]. وهذه الأمثلة تكشف أن الإبدال قد يستقر في اللغة استقراراً تاماً حتى يصبح هو الأصل المستعمل، بينما تبقى الصورة المهموزة صورة فرعية أو لهجية.وقد بسط النحاة في كتب النحو أبواباً موسعة لهذا النوع من الإبدال، رابطين بينه وبين قواعد الإعلال العامة في الأسماء والأفعال، وموضحين أن العلة الصوتية فيه واحدة وإن تعددت صوره الصرفية [110].ويتضح من الصورتين أن الإبدال يسير في اتجاه تقريب الصوتين المتنافرين أحدهما من الآخر؛ فإما أن تتحول الهمزة إلى صوت لين قريب من أصوات المد، وإما أن يتحول الصوت اللين – وأصله همزة – إلى همزة عند اجتماع همزتين، وفي الحالين يكون الهدف واحداً، هو تجنب توالي صوتين شديدين متماثلين، أو توالي همزة وحرف مد على نحو يصعب أداؤه.***جدول (٣): نماذج من الإبدال بحسب جنس الحركة***

الكلمة الأصل	بعد الإبدال	حركة ما قبل الهمزة الساكنة	الحرف المُبدَل
أَأْمَن	آمَن	فتحة	ألف
أُؤْتُوا	أُوتوا	ضمة	واو
إِئْمان	إيمان	كسرة	ياء
خَطِيئَة	خَطِيّة (لهجياً)	كسرة	ياء مشددة

ثالثاً: النقل

يُراد بالنقل نقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح الذي يسبقها مع حذف الهمزة من اللفظ [111]. ويظهر هذا الإجراء في موضعين: أولهما عند الابتداء بكلمة أولها همزة وصل بعد ساكن في آخر الكلمة السابقة، وثانيهما في بعض القراءات التي تنقل حركة همزة القطع إلى الساكن الذي قبلها، كما في قراءة (الأرض) بنقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وحذف الهمزة، فيصير اللفظ خالياً من الهمزة تماماً [112].ومن أشهر مواضع النقل عند القراء – وعلى رأسهم ورش عن نافع – نقل حركة الهمزة في كلمات مثل (الإيمان) فتُنقل كسرة الهمزة إلى لام التعريف الساكنة فتصير (ليمان) في النطق، وكذلك (الآخرة) و(الأولى) و(الآن)، حيث تُنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وتُحذف الهمزة من اللفظ مع بقائها في الرسم [113]. وهذا النوع من النقل يُعد من أبرز سمات قراءة ورش، ويُعد شاهداً قوياً على أن الظاهرة لم تكن قاعدة نظرية مجردة، بل كانت ممارسة أداء فعلية متوارثة بالسند.وعلى الرغم من أن النقل لا يُحدث تغييراً مباشراً في حرف مد، فإنه يندرج ضمن المنظومة العامة لتخفيف الهمزة التي تشترك معها ظاهرتا التسهيل والإبدال، ويكشف عن المبدأ الصوتي الجامع بينها، وهو تجنب توالي صوتين يصعب الانتقال بينهما في زمن قصير.

جدول (٤): نماذج من النقل والحذف

الكلمة	الإجراء	النتيجة في النطق	ملحوظة
الإيمان	نقل كسرة الهمزة إلى لام التعريف وحذفها	لِيمان	سمة بارزة في قراءة ورش
الآخرة / الأولى	نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها	لاخرة / لولى (نطقاً)	ورش عن نافع
الأرض	نقل فتحة الهمزة إلى لام التعريف	لَرض	بعض القراءات
خُذْ / كُلْ / مُرْ	حذف همزة الفعل في صيغة الأمر	خُذْ، كُلْ، مُرْ	شذوذ مقيس لكثرة الاستعمال
محمد بن عبد الله	حذف همزة (ابن) وصلاً بين علمين	محمدْ بْن عبد الله	حذف رسمي ونطقي معاً

رابعاً: الحذف

الحذف أبعد صور التخفيف أثراً، إذ يُسقط الهمزة من اللفظ دون أن يستبدل بها صوتاً آخر في بعض المواضع، أو يستبدل بها حركة تنتقل إلى ما قبلها كما في النقل. ومن أمثلته حذف همزة (ابن) وصلاً إذا وقعت بين علمين متناسبين، نحو: محمد بن عبد الله [114]. ويفترق الحذف عن الإبدال في أن الإبدال يستبقي زمناً صوتياً يشغله الصوت البديل، بينما يُلغي الحذف هذا الزمن كلياً، فهو أبعد الوسائل عن أصوات المد من حيث الأثر، وإن شاركها في الدافع، وهو استثقال الهمزة في موضعها.ومن صور الحذف أيضاً حذف همزة الوصل في أداة التعريف بعد لام الابتداء أو لام الجر، نحو: للرجل أصلها (لِلْأَرجل)، حيث تحذف همزة الوصل وتُدغم اللامان [115]؛ وكذلك حذف همزة بعض الأفعال في صيغ الأمر كحذف همزة (أَخَذَ) في (خُذْ)، وهمزة (أَكَلَ) في (كُلْ)، وهمزة (أَمَرَ) في (مُرْ)، وهي أفعال شذت عن القياس النحوي العام، إلا أن النحاة وجدوا لها تعليلاً صوتياً مفاده كثرة استعمال هذه الأفعال في صيغة الأمر، وكثرة الاستعمال من أقوى دواعي التخفيف [116].

خامساً: تحليل مقارن لأحكام المد المتصل والمنفصل ومد البدل

يكشف تتبع أحكام الأقسام الثلاثة من المد – المتصل والمنفصل والبدل – عن تدرج واضح يقابل تدرجاً في مقدار الثقل النطقي الناشئ عن موضع الهمزة من حرف المد. ففي المد المتصل، حيث يتلو حرفُ المد الهمزةَ في الكلمة نفسها، يكون الثقل في أعلى درجاته، فأوجب القراء فيه زيادة المد. وفي المد المنفصل، حيث يفصل حد الكلمة بين حرف المد والهمزة في الرسم وإن اتصلا في النطق عند الوصل، يكون الثقل أخف، فجاءت أحكامه بين القصر والمد. أما في مد البدل، حيث تتقدم الهمزة على حرف المد، فينتقل الجهاز النطقي من وضع الشدة إلى وضع اللين، وهو انتقال أيسر من عكسه، فناسب ذلك التخفيف بالقصر [117].ولمزيد من الدقة في توضيح هذا التدرج، تجدر الإشارة إلى أن ما يأتي تفسير مقترح لا حقيقة فيزيائية مثبتة بقياسات صوتية آلية (acoustic/articulatory)، إذ لم تُجرِ هذه الدراسة مثل هذه القياسات. فالانتقال من حرف مد إلى همزة (كما في المد المتصل والمنفصل) يقتضي أن ينتقل الجهاز النطقي من حالة انفتاح تام إلى حالة انغلاق تام، وهو ما تصفه بعض الدراسات

الصوتية الحديثة بحذر في إطار ما يُعرف بالتلاؤم النطقي الاستباقي (anticipatory co-articulation) والمحافظة على التباينات الصائتية، لا بوصفه قانوناً فيزيائياً حاسماً يقضي بأن الجهاز يحتاج بالضرورة زمناً إضافياً "ليتهيأ". وعلى هذا الافتراض، فقد يُعطى حرف المد قبل الهمزة زمناً إضافياً يساعد على هذا الانتقال. أما الانتقال من همزة إلى حرف مد (كما في مد البدل)، فهو انتقال من حالة انغلاق إلى حالة انفتاح، وهو انتقال أكثر شيوعاً في أصوات اللغات عموماً، ولذلك قد لا يحتاج – بحسب الفرضية نفسها – إلى زمن إضافي يُذكر [118].وقد يفسر هذا الافتراض أيضاً لماذا كان المد المتصل أشد الأقسام الثلاثة وجوباً، إذ إن اجتماع حرف المد والهمزة في كلمة واحدة يجعل المتكلم مضطراً لإتمام النطق بالكلمة دون توقف، فلا مجال للتخفيف – على هذا التفسير – إلا بزيادة الزمن الصوتي لحرف المد. أما في المد المنفصل، فوجود حد الكلمة بين الصوتين يتيح للمتكلم هامشاً من المرونة، إذ يمكنه أن يقف وقفة خفيفة (وإن لم تكن وقفاً تاماً) عند نهاية الكلمة الأولى، وهذا ما يفسر جواز القصر فيه عند بعض القراء [119].وهذا التدرج بين الأحكام الثلاثة – من الوجوب إلى الجواز إلى القصر – يطابق تماماً التدرج في مقدار الثقل النطقي بحسب ترتيب الهمزة وحرف المد، مما يشير إلى أن أحكام القراء في هذا الباب لم تكن أحكاماً تعبدية محضة، بل كانت انعكاساً لواقع نطقي محسوس أدركه القدماء بحسهم اللغوي قبل أن يصوغه المحدثون في قوالب نظرية [120].وقد أشار أبو عمرو الداني في معرض حديثه عن أصول القراءة إلى أن مرد هذه الفروق في المقادير إلى اختلاف الرواة في ضبط الزمن المستغرق في النطق بحرف المد قبل الهمزة أو بعدها [121]، وهو ما يؤكد أن المسألة كانت محل عناية دقيقة عند القدماء أنفسهم لا عند المحدثين فحسب.

سادساً: اجتماع الهمزتين وأثره في حروف المد

يُعد اجتماع همزتين، سواء في كلمة واحدة كـ(أأنذرتهم) أم في كلمتين متلاصقتين كـ(جاء أمرنا)، من أكثر المواضع التي تتجلى فيها صور التفاعل الصوتي بين الهمزة وأصوات المد. فقد عالج القراء هذا الاجتماع بأوجه متعددة تراوحت بين تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإبدالها حرف مد مجانساً لحركة الأولى مع المد أو القصر بحسب الموضع، وهي أوجه أفرد لها ابن الجزري وغيره أبواباً مطولة في كتبهم [122].ويمكن تصنيف اجتماع الهمزتين إلى نوعين: اجتماع همزتين في كلمة واحدة، وهو الأقل وروداً، وأشهر صوره ما تقدم في باب الإبدال من إبدال الهمزة الساكنة حرف مد؛ واجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين، وهو الأكثر وروداً في القرآن الكريم، نحو (جاء أجلهم)، و(السماء أن)، و(هؤلاء إن كنتم). وفي هذا النوع الثاني، تعامل القراء مع الهمزتين بأوجه متعددة، منها تحقيق الهمزتين معاً عند من يتشدد في التحقيق كحمزة وعاصم في رواية، ومنها تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما عند بعض القراء، ومنها إبدال الثانية حرف مد مجانساً لحركتها عند آخرين [123].ويلحظ الباحث أن جميع هذه الأوجه – على اختلافها – تتفق في معالجة المشكلة الصوتية نفسها، وهي توالي صوتين شديدين متماثلين (همزتين)، وأن الاختلاف بينها إنما هو اختلاف في درجة التخفيف لا في جوهره، وهو ما يعزز الفكرة المحورية لهذه الدراسة القائلة بأن جميع هذه الظواهر صور متعددة لمبدأ صوتي واحد.

تحليل نقدي: التسهيل والإبدال والنقل والحذف في ضوء نظرية الأمثلية

يمكن إعادة صياغة الوسائل الأربع – التسهيل والإبدال والنقل والحذف – في ضوء نظرية الأمثلية (Optimality Theory) بوصفها مخرجات متنافسة على تمثيل مدخل واحد هو تتابع (همزة + همزة) أو (همزة + حرف مد) أو العكس. ويفترض هذا الإطار وجود قيد علاماتي عام يمكن صياغته بصورة تقريبية بأنه (تجنب تتابع صوتين متماثلين في درجة الانحباس التام، وتجنب الانتقال المباشر بين انحباس تام وانفتاح تام)، يقابله قيد أماني (Faithfulness) يطالب بالحفاظ على عدد الأصوات وهويتها كما وردت في المدخل [124].وحتى يخرج هذا الإطار من طور الوصف العام إلى طور التطبيق الصوري، يمكن تمثيله بقيود محددة ومجموعة من المرشحين المتنافسين، على غرار ما هو معتمد في أدبيات نظرية الأمثلية. فيصاغ القيد العلاماتي بصورة أدق باسم (*ء ء)، ويمنع تتابع همزتين متجاورتين في الكلمة الواحدة، ويقابله قيدا أمانة: قيد (Max-Seg) الذي يحظر حذف قطعة صوتية من المدخل، وقيد (Ident-Manner) الذي يحظر تغيير طريقة النطق (من انفجاري إلى صائت) لأي قطعة قائمة. وبتطبيق ذلك على مدخل نحو (أَأْمَنَ)، حيث تتجاور همزة متحركة وأخرى ساكنة، تتنافس ثلاثة مرشحين: (أ) الإبقاء على الهمزتين كما هما (تحقيق)، وهو ينتهك القيد العلاماتي (*ء ء) فيُستبعد؛ (ب) إبدال الهمزة الساكنة ألفاً (آمَنَ)، وهو يستوفي (*ء ء) ولا ينتهك (Max-Seg) لأن عدد القطع الصوتية محفوظ، لكنه ينتهك (Ident-Manner) لتحول الهمزة الثانية من انفجاري إلى صائت؛ (ج) حذف الهمزة الساكنة (أَمَنَ)، وهو يستوفي (*ء ء) و(Ident-Manner) معاً، لكنه ينتهك (Max-Seg) لحذف قطعة كاملة من المدخل. وبترتيب هذه القيود على النحو: (*ء ء) أعلى من (Max-Seg)، و(Max-Seg) أعلى من (Ident-Manner)، يفوز المرشح (ب) – وهو صورة الإبدال المشاهدة فعلاً في (آمَنَ) – لأنه أول من يستوفي أعلى القيود ترتيباً بعد استبعاد (أ)، بينما يخسر (ج) لانتهاكه القيد الأعلى ترتيباً من بين القيدين المتبقيين. وهذا التمثيل، وإن كان مبسطاً ومقصوراً على نموذج واحد تمثيلاً لا حصراً، يبقي الباب مفتوحاً أمام توسيعه ليشمل بقية النماذج (التسهيل والنقل

والحذف) بالطريقة الصورية نفسها في دراسات لاحقة.وبحسب هذا الإطار، فإن التسهيل يمثل أدنى درجات انتهاك قيد الأمانة (تغيير جزئي في الصفة دون تغيير الهوية أو العدد)، فيكون هو المخرج الأمثل حين يكون قيد الأمانة (الجزئية) مرتفع الترتيب نسبياً؛ أما الإبدال فيمثل انتهاكاً أعلى (تغيير الهوية مع الحفاظ على العدد والزمن)، فيُختار حين يكون القيد العلاماتي أعلى ترتيباً من قيد الحفاظ على الهوية لكنه أدنى من قيد الحفاظ على العدد؛ وأما النقل والحذف فيمثلان أعلى درجات الانتهاك (تغيير العدد ذاته)، فلا يُختاران إلا حين يكون القيد العلاماتي أعلى ترتيباً من جميع قيود الأمانة المتبقية [125].وما يضيفه هذا الإطار – وهو إجابة جديدة غير وصفية عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة – هو تفسير التفاوت بين القراء واللهجات بوصفه تفاوتاً في (ترتيب القيود) لا تفاوتاً في (وجود القاعدة من عدمها)؛ فقراءة ورش، التي تكثر فيها صور النقل والإبدال، يمكن وصفها بأنها تُعلي القيد العلاماتي على قيود الأمانة بدرجة أكبر من قراءة حمزة، التي تُبقي قيود الأمانة (التحقيق) في مرتبة عالية. وبذلك تتحول الخريطة الوصفية لاختلاف القراء في باب الهمز إلى خريطة تفاضلية قابلة للتمثيل بترتيبات مختلفة لمجموعة قيود واحدة، وهو تصور لم يكن بالإمكان صياغته بأدوات النحو التقليدي وحدها، وإن كانت معطياته الأولية (وهي أوجه القراءات نفسها) معطيات تراثية أصيلة موثقة بالسند.[126]يخلص هذا المبحث إلى أن صور التفاعل الصوتي بين الهمزة وأصوات المد – التسهيل والإبدال والنقل والحذف من جهة، وأحكام المد المتصل والمنفصل والبدل من جهة أخرى – ليست ظواهر متفرقة، بل هي تطبيقات متعددة لمبدأ واحد هو السعي إلى التخفف من ثقل التنافر بين صوت شديد منغلق وأصوات لينة منفتحة. وقد بيّن التحليل أن هذه الوسائل تتدرج في شدتها من الأخف (التسهيل) إلى الأشد (الحذف)، وأن أحكام المد تتدرج بدورها في درجة الإلزام بحسب موضع الهمزة من حرف المد، وأن هذين التدرجين يعكسان تدرجاً واحداً في مقدار الثقل النطقي.ومما يجدر التنبيه إليه أن هذه الوسائل الأربع، على الرغم من اشتراكها في الدافع، لا تتوزع توزيعاً عشوائياً على المواضع المختلفة، بل يحكم توزيعها عاملان رئيسان: أولهما موضع الهمزة من حرف المد (أمتقدمة هي أم متأخرة)، وثانيهما الموضع الإعرابي والصرفي للكلمة (أهي في أول الكلمة أم وسطها أم آخرها، وأهي في حالة وصل أم وقف). وتفاعل هذين العاملين هو ما ينتج في النهاية الصورة النهائية التي تستقر عليها كل كلمة، وهو ما حاول المبحث الخامس توضيحه عبر النماذج التطبيقية المختارة.

■ **ملخص المبحث الثالث**

١. **التسهيل:** النطق بالهمزة صوتاً وسطاً (بين بين) يفقد فيه الانفجار التام ليكتسب الاحتكاك. أخف صور التخفيف أثراً لأنه يبقي الهمزة موجودة في النطق مع تحوّل في صفتها فقط. يظهر جلياً عند اجتماع همزتين أو عند الوقف على الهمزة المتطرفة.

٢. **الإبدال:** إحلال صوت آخر محل الهمزة مع الإبقاء على الزمن الصوتي. صورتاه: (أ) إبدال الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها عند اجتماع همزتين، وهو أصل مد البدل. (ب) إبدال الهمزة المتطرفة حرف مد أو لين بحسب حركتها، كالأسماء (النبيّ، خطيّة). القانون ثابت: فتحة ← ألف، ضمة ← واو، كسرة ← ياء.

٣. **النقل:** نقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها وحذف الهمزة من اللفظ. أبرز أمثلته في قراءة ورش عن نافع: (الإيمان ← لِيمان)، (الآخرة)، (الأرض). لا يُحدث تغييراً مباشراً في حرف المد لكنه يُسقط الهمزة بنقل أثرها.

٤. **الحذف:** إسقاط الهمزة وأثرها معاً دون أي تعويض. أبعد الوسائل أثراً. أمثلته: حذف همزة (ابن) بين علمين، وحذف همزة أفعال الأمر (خُذ، كُلْ، مُرْ) لكثرة الاستعمال.

٥. **الرابط بين الوسائل الأربع وأحكام المد:** الوسائل الأربع وأحكام المد كلها تطبيقات لمبدأ واحد هو تجنب التنافر بين صوت شديد منغلق (الهمزة) وأصوات لينة منفتحة (المد). يحكم توزيعها عاملان: موضع الهمزة من حرف المد، والموضع الصرفي والإعرابي للكلمة.

ثامناً: التطبيقات التربوية للتحليل الصوتي في تعليم أحكام المد

يكتسب التحليل الصوتي المتقدم لظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف وأحكام المد قيمة تطبيقية مباشرة في حقل تعليم اللغة العربية وعلوم القرآن؛ إذ يلاحظ المدرسون كثيراً أن الدارسين، ولا سيما المبتدئين منهم، يجدون صعوبة في استيعاب أحكام المد المتصل والمنفصل ومد البدل حين تُقدَّم إليهم على أنها مقادير زمنية مجردة (أربع حركات، خمس حركات، حركتان) دون ربطها بعلتها الصوتية [127].وفي ضوء ما تقدم في هذه الدراسة، يمكن تقديم هذه الأحكام للدارسين عبر مدخل تفسيري بسيط مفاده أن الهمزة صوت (صعب) يحتاج الفم إلى وقت لتهيئة النطق به، وأن المد إنما هو ذلك الوقت الإضافي الذي يمنحه القارئ لنفسه قبل أن يصل إلى الهمزة (في المتصل والمنفصل) أو بعد أن يبتعد عنها (في البدل، حيث يكون الوقت أقصر لأن الانتقال من الصعب إلى السهل لا يحتاج إلى تمهيد طويل). وهذا التفسير، وإن كان مبسطاً، يحول القاعدة من حفظ صم إلى فهم منطقي يسهل استرجاعه [128].كما يمكن توظيف هذا التحليل في تصحيح أخطاء شائعة عند الدارسين، من مثل الخلط بين مد

البدل والمد المتصل، حيث يكفي تنبيه الدارس إلى ترتيب الهمزة وحرف المد: فإن تقدمت الهمزة فالمد بدل (يُقصر)، وإن تأخرت في الكلمة نفسها فالمد متصل (يُمد وجوباً)؛ وهي قاعدة تعتمد على ترتيب العناصر لا على حفظ قوائم الكلمات [129].

المبحث الرابع: الأصل اللهجي للظاهرة وانعكاسه في القراءات

أولاً: اللهجات العربية وموقفها من الهمزة

أشار اللغويون القدماء إلى أن أهل الحجاز، وفي مقدمتهم قريش، كانوا أميل إلى تخفيف الهمزة بضروب من التسهيل والإبدال والحذف، حتى وُصفت لهجتهم بأنها أكثر اللهجات إعلالاً، في حين عُرف عن تميم وقيس وأسد المحافظة على تحقيق الهمزة في معظم أحوالها، حتى صار التحقيق سمة غالبة على لهجاتهم [130].ويربط بعض الباحثين هذا الاختلاف بنمط الحياة، فيذهبون إلى أن اللهجات الحضرية التي تميل إلى السرعة والانسياب في الأداء كانت أكثر تقبلاً للتخفيف، بينما اللهجات البدوية التي تحرص على المحافظة على البنية الأصلية للألفاظ كانت أكثر تمسكاً بتحقيق الهمزة على الرغم مما فيها من ثقل. وهذا رأي تاريخي – اجتماعي معقول ينسجم مع ما ينقله بعض القدماء، غير أنه يبقى تفسيراً مرجَّحاً لا نتيجة مؤكدة، إذ لا تستند إلى مدونة لهجية كمية تثبتها إحصائياً [131].[132]ويضيف بعض الباحثين تفسيراً محتملاً آخر، وهو طبيعة الاحتكاك اللغوي؛ إذ يُفترض أن قريشاً – بحكم موقعها التجاري ومكانتها الدينية في الجزيرة العربية – كانت على احتكاك دائم بوفود القبائل المختلفة، مما قد يكون جعل لهجتها أكثر مرونة وقابلية للتطور والتخفيف، بخلاف القبائل البدوية النائية التي قلّ احتكاكها بغيرها، فحافظت على أنماطها الصوتية القديمة بصورة أكبر. وهذا التفسير – شأنه شأن سابقه – فرضية تاريخية تستحق الاعتبار لا نتيجة ثابتة مؤكدة بمعطيات كمية [133].

ثانياً: أثر هذا الاختلاف في القراءات القرآنية

نزل القرآن الكريم بلغة قريش مع اشتماله على أوجه من لغات قبائل أخرى تيسيراً، فانعكس هذا التنوع اللهجي في القراءات المتواترة في باب الهمز انعكاساً واضحاً؛ فقراءة من يحقق الهمزة في أكثر مواضعها، كقراءة عاصم وحمزة، تمثل امتداداً للهجات التحقيق، بينما قراءة من يميل إلى التسهيل والإبدال، كقراءة أبي عمرو البصري وورش عن نافع في مواضع عدة، تمثل امتداداً للهجات التخفيف [134].ويمكن أن نسوق مثالاً تطبيقياً يجمع بين الإبدال والنقل معاً، وهو ما يفعله ورش عن نافع في كلمة (القرآن)؛ إذ يقرأ بإبدال الهمزة المتطرفة بعد فتح ألفاً عند الوقف في بعض المواضع، فضلاً عن نقله حركة الهمزة إلى الساكن قبلها في كلمات (الإيمان) و(الآخرة) كما تقدم. وهذان الوجهان معاً يمثلان امتداداً واضحاً للهجة قريش وما جاورها من لهجات حجازية معروفة بالتخفيف [135].وفي المقابل، تمثل قراءة حمزة الكوفي نموذجاً للهجات التحقيق؛ فهو يحقق الهمزتين عند اجتماعهما في كلمة واحدة أو في كلمتين، ولا يميل إلى التسهيل إلا في مواضع محدودة جداً اضطر إليها السماع، وهو ما يعكس امتداد لهجته إلى البيئة الكوفية التي تأثرت بلهجات تميم وأسد المعروفة بالتحقيق [136].ويظهر أثر هذا التنوع بوضوح في تفاوت القراء في مقادير المد المتصل والمنفصل بين القصر والإشباع، وهو تفاوت يُروى بالسند المتصل ويخضع لضوابط الأداء المتلقاة، إلا أنه يجد جذوره في تفاوت القبائل قديماً في تحملها للثقل الناشئ عن تجاور الهمزة وأصوات المد [137].ولم يقتصر أثر هذا التفاوت على باب المد وحده، بل امتد إلى مسائل نحوية وصرفية كثيرة احتج فيها النحاة بالقراءات المختلفة في الهمز عند تقعيدهم لأبواب الإعلال والإبدال والوقف، مما يدل على أن هذه الظاهرة كانت مصدراً غنياً استقى منه النحاة كثيراً من شواهدهم [138].

ثالثاً: القيمة العلمية لربط الظاهرة الصوتية بأصلها اللهجي

إن ربط ظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف بأصلها اللهجي القديم لا يخدم الجانب التاريخي فحسب، بل له قيمة علمية مباشرة في فهم الظاهرة الصوتية ذاتها؛ ذلك أن وجود الظاهرة في أكثر من لهجة، وبصور متقاربة، يؤكد أنها ظاهرة صوتية أصيلة نابعة من طبيعة الجهاز النطقي البشري، لا مجرد عادة كلامية عارضة تخص قبيلة بعينها [139].كما أن دراسة هذا التنوع اللهجي تفتح الباب أمام مقارنات أوسع مع اللغات السامية الأخرى، التي تشترك مع العربية في وجود صوت الهمزة (الهمزة الحنجرية)، وتختلف عنها في درجة المحافظة عليه أو التخفف منه، مما يجعل ظاهرة الهمزة وأصوات المد في العربية حالة درس يمكن توظيفها في دراسات اللسانيات السامية المقارنة [140].

رابعاً: خلاصة المبحث

يخلص هذا المبحث إلى أن صور التفاعل بين الهمزة وأصوات المد التي فُصّلت في المبحث الثالث ليست معطى صوتياً نظرياً عاماً فحسب، بل هي – في الوقت نفسه – معطى لهجي تاريخي محفوظ بالسند المتصل عبر القراءات القرآنية المتواترة. وأن التفاوت بين القراء في تحقيق الهمزة وتسهيلها يعكس تفاوتاً قديماً بين اللهجات العربية، نشأ بدوره عن عوامل اجتماعية وجغرافية مؤثرة في طبيعة الأداء الكلامي. وبذلك يلتقي البعد الصوتي والبعد التاريخي في تفسير واحد متكامل لهذه الظاهرة.

خامساً: شواهد إضافية من الشعر العربي القديم

لا تقتصر شواهد التسهيل والإبدال والنقل على القراءات القرآنية، بل يحفل الشعر العربي القديم بشواهد كثيرة تؤكد أصالة هذه الظواهر في الكلام العربي الفصيح قبل أن تنضبط بضوابط الأداء القرآني. فمن ذلك ما رواه النحاة من تسهيل الشعراء للهمزات المتطرفة في القوافي عند الوقف، وإبدالهم الهمزة الساكنة حرف مد في أبنية كثيرة طلباً للانسجام الموسيقي مع البحر الشعري [141].ومن أشهر ما استشهد به النحاة في هذا الباب أبيات نُسبت لشعراء جاهليين وإسلاميين أُبدلت فيها الهمزات المتوسطة والمتطرفة حروف مد أو لين تخفيفاً، حتى عُدَّ ذلك من سمات (لغة التخفيف) التي قابلت (لغة التحقيق) عند قبائل أخرى، وهو ما يؤكد أن الظاهرة لم تكن قاصرة على القراءات وحدها، بل كانت سمة عامة في اللغة الفصيحة المروية بإطلاق [142].وقد استثمر النحاة هذه الشواهد الشعرية في تثبيت قواعد الإبدال والإعلال، إذ جعلوا منها أدلة على جواز هذه الصور في الفصيح، لا على كونها لحناً أو خطأً، وهو ما يكشف عن منهجية علمية رصينة في التعامل مع الظاهرة اللغوية، قوامها الاستقراء لا التحكم [143].

سادساً: شواهد لهجية معاصرة – استمرار الظاهرة في العامية العربية

لا تزال آثار التسهيل والإبدال والحذف التي وثقتها كتب التراث حاضرة بصورة مكثفة في اللهجات العربية المعاصرة، بل يمكن القول إنها اتسعت فيها اتساعاً كبيراً قياساً إلى الفصحى. ففي كثير من اللهجات المشرقية، تُبدل الهمزة المتوسطة والمتطرفة حرف مد أو تُحذف بالكلية في كلمات شائعة مثل (سؤال) التي تُنطق بإبدال الهمزة واواً ممدودة، و(رأس) التي تُنطق بإبدال الهمزة ألفاً، و(بئر) التي تُنطق بإبدال الهمزة ياءً، وهي جميعاً تطبيقات مباشرة لقانون (إبدال الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها) الذي تقدم تفصيله في المبحث الثالث، وإن لم يعد القلب فيها مشروطاً باجتماع همزتين كما في الفصحى، بل عمّ كل همزة ساكنة مهما كان أصلها [144].وفي لهجات أخرى، وبخاصة بعض اللهجات الخليجية والعراقية، لا تزال الهمزة محققة في عدد من المواضع التي خفّفتها لهجات أخرى، وهو امتداد – بحسب ما تقدم في هذا المبحث – للهجات التحقيق التميمية والأسدية القديمة، في مقابل امتداد لهجات التخفيف الحجازية في اللهجات المشرقية والمصرية المعاصرة الأكثر ميلاً إلى إسقاط الهمزة [145].ويمكن أن نسوق مثالاً لهجياً يجمع بين النقل والحذف معاً، وهو ما يحدث في النطق العامي لكلمة (المسألة)، حيث تُحذف الهمزة المتوسطة بالكلية مع تعويضها أحياناً بحركة طويلة على الصوت السابق، في إجراء يشبه إلى حد بعيد ما وصفه القراء في باب النقل من نقل أثر الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذفها، وإن اختلفت تفصيلات الإجراء بين الفصحى والعامية [146].وتزداد قيمة هذه الشواهد اللهجية المعاصرة حين تُقرأ في ضوء مبدأ الاقتصاد الصوتي ومفهوم العلامية المتقدمين؛ فاتساع ظاهرة إضعاف الهمزة أو إسقاطها في العامية المعاصرة، قياساً بالفصحى التي حافظت على الهمزة في مواضع كثيرة بفعل القراءة المتواترة المضبوطة بالسند، يقدم دليلاً تجريبياً حياً على صحة الفرضية القائلة بأن الهمزة صوت (معلَّم) عالي الكلفة، تنزع اللغة – متى تحررت من قيود السند والأداء المتلقى – إلى التخفف منه أو إسقاطه بصورة أوسع مما تجيزه قواعد الفصحى المضبوطة [147].

■ **ملخص المبحث الرابع**

١. **الأصل اللهجي للظاهرة:** ظاهرة تسهيل الهمزة وإبدالها سمةٌ لهجية قديمة؛ قريش والحجاز أهل تخفيف، وتميم وقيس وأسد أهل تحقيق. لهذا التباين جذور اجتماعية (حضر/بدو) وجغرافية (احتكاك لغوي/عزلة).

٢. **انعكاسه في القراءات:** ورش عن نافع وأبو عمرو البصري يمثلان امتداد لهجات التخفيف الحجازية. وحمزة الكوفي يمثل امتداد لهجات التحقيق التميمية. التفاوت في مقادير المد بين القراء يعكس هذا الاختلاف اللهجي القديم المحفوظ بالسند المتصل.

٣. **شواهد الشعر العربي القديم:** الشعر الجاهلي والإسلامي يزخر بشواهد التسهيل والإبدال في القوافي وداخل الأبيات، مما يؤكد أن الظاهرة سمة فصيحة عامة. استثمرها النحاة شواهد على قواعد الإعلال والإبدال بمنهج استقرائي رصين.

٤. **الامتداد في اللهجات المعاصرة:** اللهجات المعاصرة توسّعت في إبدال الهمزة وحذفها (رأس ← راس، سؤال ← سوال، بئر ← بير). هذا دليل تجريبي حي يؤكد أن الهمزة صوت معلَّم عالي الكلفة تنزع اللغة إلى التخفف منه متى تحررت من قيود السند.

المبحث الخامس: نماذج تحليلية تطبيقية مختارة

بعد أن عُرضت في المباحث السابقة الأطر النظرية العامة لظاهرة التفاعل بين الهمزة وأصوات المد، يخصص هذا المبحث لتطبيق تلك الأطر على عدد من النماذج اللغوية المختارة، بحيث يُتتبع في كل نموذج المسار الصوتي الكامل من الصيغة الأصلية إلى الصيغة المستعملة، مروراً بالعملية أو العمليات الصوتية التي طرأت عليه، وذلك تأكيداً للمنهج التطبيقي الذي تنتهجه الدراسة، وتقريباً لمضامينها النظرية من ذهن القارئ.

أولاً: نموذج (آمن) – تتبع مسار الإبدال

الأصل في كلمة (آمن) أنها (أأْمَن)، على وزن (أَفْعَل)، اجتمعت فيها همزتان: الأولى همزة المضارعة أو همزة التعدية المفتوحة المتحركة، والثانية همزة الفعل الأصلية الساكنة. ولما اجتمعت همزتان، الأولى متحركة بالفتح والثانية ساكنة، طُبِّق عليها قانون الإبدال المتقدم: تُبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فأُبدلت الهمزة الثانية ألفاً لمناسبة الفتحة، فصار اللفظ (آمن) بهمزة واحدة متبوعة بألف مد [148].وهذا المسار يوضح عملياً كيف تتحول كلمة من نمط (همزة + همزة ساكنة) إلى نمط (همزة + حرف مد)، وهو بعينه التحول الذي يُنتج ما يسميه القراء (مد البدل)؛ إذ صار حرف المد (الألف) متأخراً عن الهمزة في الكلمة، فاستحق حكم القصر بمقدار حركتين عند جمهور القراء، تطبيقاً لما تقدم من أن الانتقال من همزة إلى مد انتقال أيسر لا يحتاج إلى زمن إضافي [149].

ثانياً: نموذج (السماء) – تتبع المد المتصل

كلمة (السماء) تنتهي بحرف مد (الألف) يليه همزة في الكلمة نفسها، وهو الترتيب الذي عُرف فيما تقدم بالمد المتصل. وبالنظر إلى البنية الصوتية للكلمة، نجد أن المتكلم مضطر للانتقال من صوت الألف (المنفتح تماماً) إلى صوت الهمزة (المنغلق تماماً) دون توقف، لأن الهمزة جزء من بنية الكلمة لا يجوز الوقوف قبله في الوصل [150].وعلى الفرضية التفسيرية المتقدمة القائلة إن هذا الانتقال من أقصى الانفتاح إلى أقصى الانغلاق هو من أشق الانتقالات الصوتية، فقد أوجب القراء إطالة زمن النطق بالألف (المد) قبل الوصول إلى الهمزة، بمقدار أربع أو خمس حركات بحسب المذاهب. وهذا التفسير – إن صح – يوضح بصورة معقولة سبب كون المد المتصل (واجباً) لا (جائزاً)، مع التنبيه إلى أن الحكم بالوجوب نفسه ثابت بالسند والإجماع بصرف النظر عن صحة هذا التفسير الصوتي أو عدم صحته [151].

ثالثاً: نموذج (يا أيها) – تتبع المد المنفصل

في تركيب (يا أيها)، تنتهي كلمة (يا) بحرف مد (الألف)، وتبدأ الكلمة التالية (أيها) بهمزة. وبخلاف نموذج (السماء)، فإن حد الكلمة هنا يفصل بين حرف المد والهمزة في الرسم، وإن كانا يتصلان في النطق عند الوصل. وهذا الفاصل – وإن كان فاصلاً كتابياً لا صوتياً محضاً – يمنح المتكلم هامشاً من المرونة في الأداء غير متاح في المد المتصل [152].ولذلك اختلف القراء في مقدار المد هنا بين القصر (حركتين، وهو المعتمد عند حفص عن عاصم من طريق الشاطبية) والتوسط والإشباع (أربع أو خمس حركات، كورش وحمزة عن طريقيهما المشهورين)، وهو اختلاف يعكس – كما تقدم – تبايناً قديماً في درجة الإحساس بثقل هذا التركيب بين القراء أنفسهم، تبعاً لاختلاف لهجاتهم الأصلية ومدارسهم الأدائية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقادير مرتبطة بالرواية والطريق المعيّنين لا بالقارئ وحده؛ فقد ترد للراوي الواحد عدة طرق تتفاوت فيما بينها في تقدير المد المنفصل، وهو ما يستوجب التزام الدقة في نسبة كل مقدار إلى روايته وطريقه المحددين لا إلى القارئ بإطلاق [153].

رابعاً: نموذج (هؤلاء) – اجتماع همزتين في كلمة وكلمتين

تمثل كلمة (هؤلاء) نموذجاً مركباً يجمع بين أكثر من ظاهرة من ظواهر هذه الدراسة؛ ففيها همزة متوسطة مضمومة يسبقها حرف مفتوح (الهاء)، فرُسمت على واو تبعاً لقوة الضمة على الفتحة، وفيها أيضاً ألف مد يليه مباشرة همزة متطرفة في الكلمة نفسها، وهو ما يجعلها – بحسب التعريف المتقدم في المبحث الثاني – من قبيل المد المتصل لا مد البدل؛ إذ إن مد البدل يشترط تقدّم الهمزة على حرف المد، بينما هنا يتقدّم حرف المد (الألف) على الهمزة المتطرفة، فتنطبق عليه علة المد المتصل ومقداره لا علة مد البدل. وإذا وليت هذه الكلمة كلمة أخرى مبدوءة بهمزة، نحو (هؤلاء إن كنتم صادقين)، نشأ عن ذلك – إضافة إلى ما تقدم – اجتماع همزتين في كلمتين متجاورتين يفتح باب المد المنفصل، فعولج بأوجه التسهيل والإبدال التي تقدم ذكرها في المبحث الثالث [154].ويبرز هذا النموذج أهمية النظر إلى الكلمة الواحدة بوصفها حقلاً قد تتداخل فيه أكثر من ظاهرة صوتية في آن واحد، وأن الفصل بين هذه الظواهر في العرض النظري – كما فعلت هذه الدراسة في مباحثها – إنما هو فصل منهجي تيسيري، وإلا فإن الواقع الصوتي للكلام المتصل أكثر تعقيداً وتداخلاً من أن تحصره مقولات منفردة [155].

خامساً: نموذج (يستهزئون) و(مستهزئين) – الإبدال حسب الموقع

يقدم هذا النموذج مقارنة دقيقة بين صيغتين من جذر واحد (هزأ) تختلف فيهما حركة الهمزة المتطرفة نفسها وإن اتفقتا في صورة كرسيها؛ ففي (يستهزئون) تقع الهمزة مضمومة (تبعاً لإعرابها رفعاً قبل واو الجماعة)، وفي (مستهزئين) تقع الهمزة مكسورة (لزوماً قبل ياء جمع المذكر السالم)، وفي الحالين يسبق الهمزة حرف الزاي مكسوراً (يستهزِئون، مستهزِئين)، فتُرسم الهمزة في الكلمتين معاً على صورة الياء (كرسي الياء)، تبعاً لقاعدة الرسم القياسي لكرسي الهمزة المتوسطة التي ترجّح أقوى الحركتين المتجاورتين للهمزة في اختيار الحرف الذي تُرسم عليه؛ فالكسرة، بوصفها أقوى الحركات، تحسم اختيار الكرسي هنا بصرف النظر عن اختلاف حركة الهمزة نفسها بين الكلمتين. وهذا التغير قائم في الرسم لا في النطق؛ فالهمزة في القراءة المحقَّقة تبقى صوتاً حنجرياً منطوقاً كما هي، ولا تتحول فعلياً إلى صوت الياء إلا في صور الإبدال الصوتي الحقيقي التي فصّلها

المبحث الثالث من هذه الدراسة. وإنما استُحضر هذا النموذج هنا لأن المبدأ الذي يحكم اختيار كرسي الهمزة كتابةً – وهو تفاضل قوة الحركتين المتجاورتين – هو بعينه المبدأ الصوتي الذي يحكم قاعدة الإبدال الصوتي الفعلي المتقدم ذكرها، وإن اختلف مجال التطبيق بين الرسم والنطق [156].وما يلفت النظر في هذا النموذج أن قاعدة اختيار كرسي الهمزة لا تراعي حركة الهمزة نفسها وحدها، بل تراعي أيضاً حركة الحرف الذي يسبقها وتحسم الاختيار وفق الأقوى منهما؛ ولذلك رغم اختلاف حركة الهمزة بين الكلمتين (ضمة في الأولى، كسرة في الثانية)، استوى مصيرهما الكتابي لأن كسرة الزاي – وهي الأقوى في الحالين – هي التي حسمت اختيار الياء كرسياً. وهذه علاقة أدق من أن تُختزل في حركة الهمزة وحدها، وهي علاقة فصّلها الصرفيون واللغويون تفصيلاً دقيقاً في كتب الرسم والإعلال، وتلتقي – من حيث المبدأ العام لا من حيث مجال التطبيق – مع أصل قاعدة الإبدال الصوتي المتقدمة [157].

سادساً: خلاصة المبحث

تكشف النماذج التطبيقية الخمسة المتقدمة أن جميع الظواهر التي عُرضت نظرياً في المباحث السابقة – من إبدال ونقل وتسهيل وحذف، ومن أحكام مد متصل ومنفصل وبدل – ليست مقولات مجردة، بل هي أوصاف دقيقة لمسارات صوتية فعلية يمكن تتبعها كلمة كلمة في النص القرآني وفي الفصيح من الكلام العربي. كما تكشف هذه النماذج أن الكلمة الواحدة قد تكون ميداناً لأكثر من ظاهرة في آن واحد، وأن فهم هذه الظواهر فهماً متكاملاً هو السبيل الوحيد لتفسير الصورة النهائية التي استقرت عليها الكلمات في الاستعمال الفصيح والأداء القرآني المتواتر.

■ **ملخص المبحث الخامس**

١. **نموذج (آمَن) – مسار الإبدال:** أَأْمَن ← آمَن. اجتمعت همزتان (متحركة + ساكنة)، فأُبدلت الساكنة ألفاً لمناسبة الفتحة، فنشأ مد البدل (حركتان) لأن الانتقال من الهمزة إلى المد أيسر من عكسه.

٢. **نموذج (السماء) – المد المتصل:** الألف يسبق الهمزة في الكلمة نفسها. الانتقال من أقصى الانفتاح (ألف) إلى أقصى الانغلاق (همزة) أشق الانتقالات، فوجب المد (٤–٥ حركات) لتهيئة الجهاز النطقي.

٣. **نموذج (يا أيها) – المد المنفصل:** الألف في كلمة والهمزة في كلمة تالية. حد الكلمة يمنح هامش مرونة، فجاء الحكم جواز المد لا وجوبه (٢–٥ حركات). التفاوت بين القراء يعكس اختلافهم في تقدير هذا الهامش.

٤. **نموذج (هؤلاء) – تعدد الظواهر في كلمة واحدة:** الكلمة تجمع همزة متوسطة وألف مد يليه همزة متطرفة في الكلمة نفسها (مد متصل داخلها، لا مد بدل). وإذا وليتها همزة في كلمة أخرى (هؤلاء إن) نشأ اجتماع همزتين في كلمتين يفتح باب المد المنفصل، فانضافت صور التسهيل والإبدال. يؤكد أن الكلمة الواحدة قد تجمع أكثر من ظاهرة في آن.

٥. **نموذج (يستهزئون/مستهزئين) – دقة قاعدة كرسي الهمزة:** يكشف أن قاعدة رسم كرسي الهمزة (وهي قاعدة إملائية لا تحوّلاً صوتياً في النطق) علاقة ثلاثية لا ثنائية: حركة ما قبل الهمزة + حركة الهمزة نفسها + الحرف الذي تُرسم عليه، وأن هذه القاعدة تقوم على المبدأ الصوتي نفسه الذي تقوم عليه قاعدة الإبدال الصوتي الفعلي المدروسة في المبحث الثالث، وإن اختلف عنها في مجال التطبيق (الرسم لا النطق).

■ **الخلاصة التطبيقية:** النماذج الخمسة تثبت أن الظواهر النظرية التي عُرضت في المباحث السابقة مسارات صوتية فعلية قابلة للتتبع كلمة كلمة، وأن الفصل بين الظواهر منهجي تيسيري لا يعكس الواقع الصوتي للكلام المتصل الذي قد يجمع في الكلمة الواحدة أكثر من ظاهرة.

مناقشة عامة: نحو فرضية تفسيرية جامعة

بعد العرض التفصيلي لمباحث الدراسة الخمسة، يحاول هذا الموضع تجميع الخيوط المتفرقة في صياغة تركيبية واحدة، يمكن أن تُسمى – على سبيل الفرضية التفسيرية المقترحة لا القانون المثبت – (فرضية التنافر الهمزي–المدي)، وفحواها أن أي تجاور بين الهمزة وأحد أصوات المد، في كلمة واحدة أو في كلمتين متلاصقتين في النطق، يُحدث حالة من عدم الاستقرار الصوتي تسعى اللغة إلى معالجتها بإحدى وسائل أربع: تخفيف صفة أحد الصوتين (التسهيل)، أو استبدال أحدهما بصوت من جنس الآخر (الإبدال)، أو نقل أثر أحدهما إلى ما يجاوره مع إسقاطه (النقل)، أو إسقاطه كلياً (الحذف)؛ وفي حال عدم تطبيق أي من هذه الوسائل، تُعالج حالة عدم الاستقرار بإجراء تعويضي كمي لا نوعي، هو زيادة زمن النطق بحرف المد (أحكام المد).وتتميز هذه الفرضية المقترحة بأنها تفسر – تحت مظلة واحدة – ظواهر بدت في الكتب التراثية متفرقة بين أبواب النحو والصرف والتجويد والقراءات، فيجعل من (الإعلال بالقلب) و(التسهيل بين بين) و(النقل) و(الحذف) و(أحكام المد) أوجهاً لظاهرة واحدة، يحكمها عامل واحد هو درجة التنافر بين صوتين متباعدين في الصفة أشد التباعد. وهذا التفسير الموحد، وإن لم يلغِ خصوصية كل ظاهرة على حدة من الناحية الإجرائية، إلا أنه يضعها جميعاً في سياق تفسيري واحد يسهل استيعابه وتدريسه [158].ومن المسائل الجديرة بالنقاش أيضاً مسألة (لماذا اختير التخفيف بهذه الوسائل الأربع تحديداً دون غيرها؟). والجواب – في ضوء ما تقدم – أن هذه الوسائل الأربع تغطي معظم الاحتمالات

التي وثّقتها المادة العربية المدروسة في هذا البحث لمعالجة تتابع صوتين متنافرين: فإما تعديل أحدهما (تسهيل)، أو استبداله (إبدال)، أو دمج أثره في الآخر (نقل)، أو إلغاؤه (حذف). غير أن الأنظمة الصوتية في اللغات عموماً تعرف أيضاً وسيلة خامسة هي الإدخال (Epenthesis)، أي توليد قطعة صوتية جديدة تفصل بين الصوتين المتنافرين بدل تعديل أحدهما أو حذفه، وهي وسيلة لم تُستأثر بها هذه الدراسة لأن المادة العربية التي تناولتها لم تظهر فيها بصورة مطّردة قابلة للتوثيق، لا لأنها مستبعدة نظرياً من الاحتمالات الممكنة في الأنظمة الصوتية عموماً. فالوسائل الأربع – في حدود ما تقدمه العربية على الأقل – ليست اختيارات اعتباطية، بل هي الحلول الأكثر اطراداً في المادة المدروسة أمام مشكلة تتابع صعب [159].وتبقى الإشارة أخيراً إلى أن هذه الفرضية المقترحة، على الرغم مما تحمله من قدرة تفسيرية واسعة، تحتاج إلى مزيد من الاختبار على مدونات أوسع من النصوص العربية القديمة والحديثة، وإلى مقارنتها بما يحدث في اللغات السامية الأخرى عند تجاور أصواتها الحنجرية بأصوات المد فيها، وهو ما يفتح آفاقاً بحثية جديدة تتجاوز حدود هذه الدراسة، وتمثل – في الوقت نفسه – امتداداً طبيعياً لما توصلت إليه من نتائج.ومن زاوية أخرى، يمكن النظر إلى هذه الفرضية المقترحة بوصفها جسراً منهجياً بين علمين كثيراً ما يُنظر إليهما نظرة منفصلة: علم التجويد بوصفه علماً تعبدياً أداؤه متلقى بالسند، وعلم الأصوات بوصفه علماً وصفياً تفسيرياً. فالفرضية المقترحة لا تمس قداسة الأداء المتلقى ولا تدّعي تعديله، وإنما تقدم له تفسيراً عقلياً يزيد المتلقي يقيناً بأن ما تلقاه بالسند ليس تحكماً، بل هو في الوقت نفسه موافق لمقتضى الطبيعة الصوتية للغة العربية، وهذا التوافق بين المنقول والمعقول هو غاية يسعى إليها كثير من الدارسين في مجال الدراسات القرآنية واللغوية على حد سواء [160].

ملحق: موازنة بين مصطلحات القدماء ومصطلحات المحدثين

يفيد هذا الملحق في تجميع أهم المقابلات الاصطلاحية التي مرت في ثنايا الدراسة بين المصطلح القديم ومقابله الحديث، وذلك لتيسير الانتقال الذهني بين المنهجين على القارئ، ولإبراز أن الاختلاف بينهما اختلاف في التسمية لا في جوهر الملحوظة الصوتية في أغلب الأحيان.

ففي وصف مخرج الهمزة وصفتها، يقابل مصطلح (أقصى الحلق) عند سيبويه مصطلح (الحنجرة) عند المحدثين، ويقابل مصطلح (الشدة) مصطلح (الانفجاري)، ويقابل وصف (النبرة في الصدر) مصطلح (الصوت الانفجاري الحنجري) بتمام مراحله الثلاث: الانطباق، والحبس، والانفجار [161]. وفي باب التسهيل، يقابل وصف (بين بين) عند القراء مصطلح (الصوت الاحتكاكي الحنجري) أو (الصوت شبه الصائت) عند المحدثين، ويقابل مصطلح (تخفيف الهمزة) مصطلح (تقليل صفة الانفجار مع الإبقاء على المخرج) [162].وفي باب الإبدال، يقابل مصطلح (الإعلال بالقلب) عند الصرفيين مصطلح (الإبدال الصوتي التجانسي) عند المحدثين، ويقابل تعليل (استثقال توالي همزتين) مصطلح (تجنب التكرار الصوتي المتماثل المخرج) أو ما يُعرف في بعض الأدبيات الحديثة بظاهرة (التفكك من التماثل) [163].وفي باب أحكام المد، يقابل مصطلح (الحركة) عند القراء مصطلح (الوحدة الزمنية النسبية) أو (mora) في بعض الأدبيات الصوتية المقارنة، ويقابل التفريق بين (الوجوب) و(الجواز) و(القصر) في أحكام المد المتصل والمنفصل والبدل التدرجَ الكمي في (الطول التعويضي) للصوت الصائت قبل صوت ساكن صعب النطق [164].وخلاصة هذا الملحق أن القارئ المتمرس في كتب التراث يستطيع – بيسير من الجهد – أن يعيد صياغة كل ما ورد فيها من وصف وتعليل بمصطلحات الدرس الحديث، والعكس صحيح أيضاً؛ وهو ما يؤكد مرة أخرى الفكرة المحورية لهذه الدراسة: أن الملحوظة الصوتية واحدة، وأن تعدد المصطلحات لا يعني تعدد الحقائق.

حدود الدراسة وآفاق بحثية مستقبلية

على الرغم مما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، فإنها لا تدّعي الإحاطة الكاملة بجميع جوانب العلاقة بين الهمزة وأصوات المد؛ إذ اقتصرت – كما تقدم في المقدمة – على الجانب الصوتي العام، ولم تتعرض لتفصيلات الخلاف بين الروايات والطرق في كل قراءة على حدة، ولا لقياسات صوتية مخبرية دقيقة لأزمنة النطق الفعلية، وهي مسائل تحتاج إلى أدوات بحثية متخصصة وفرق عمل متعددة التخصصات تجمع بين اللغوي والمتخصص في الصوتيات التجريبية [165].

ومن الآفاق البحثية التي تقترحها هذه الدراسة: إجراء دراسة مسحية لأوجه الإبدال والتسهيل والنقل المتعلقة بالهمز عبر القراءات العشر مجتمعة، بحيث تُبنى منها خريطة شاملة تربط كل وجه بأصله اللهجي المحتمل؛ وكذلك إجراء دراسة تجريبية تقيس بالأجهزة الصوتية الحديثة الفروق الزمنية الفعلية بين المد المتصل والمنفصل والبدل عند عينة من القراء المعاصرين، لمقارنتها بالمقادير النظرية الواردة في كتب التجويد [166].

كما تقترح الدراسة دراسة مقارنة بين أحكام الهمزة في العربية الفصحى وما يقابلها في عدد من اللهجات العربية المعاصرة، للوقوف على مدى استمرار مبدأ التنافر الهمزي–المدي في صورته التاريخية أو تحوله إلى صور جديدة تتناسب مع التطور الصوتي الذي طرأ على هذه اللهجات عبر القرون.

الخاتمة والنتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية، وتنبغي الإشارة إلى أن النتائج (١-٣) تقرر حقائق تأسيسية معروفة أعادت الدراسة تأكيدها بالتحليل، بينما تمثل النتائج (٩-١٢) الإضافة الأصلية التي أنتجتها الدراسة نفسها ولم تكن مقررة سلفاً بالصورة نفسها:

١- الهمزة صوت حنجري شديد ينحبس معه الهواء انحباساً تاماً قبل انفجاره، وهي بذلك تتنافر مع أصوات المد التي يجري معها الهواء جرياناً متصلاً، وهذا التنافر هو منشأ معظم الظواهر الصوتية المتعلقة بالهمز [167].

٢- أصوات المد – الألف والواو والياء – أصوات صائتة قابلة للإطالة الزمنية، وكل واحد منها امتداد لإحدى الحركات القصيرة، وهذا التناظر هو الأساس الذي تقوم عليه ظاهرة الإبدال [168].

٣- التسهيل والإبدال والنقل والحذف وسائل متدرجة في شدة التخفيف، تسير جميعها في اتجاه تقريب الهمزة من أصوات المد أو تقريب أصوات المد من الهمزة عند اجتماع همزتين [169].

٤- يقوم التفاوت بين أحكام المد المتصل والمنفصل ومد البدل على أساس صوتي يتمثل في موضع الهمزة من حرف المد وترتيبها بالنسبة إليه، وهو تفاوت يطابق تدرجاً مماثلاً في مقدار الثقل النطقي [170].

٥- يجد التفاوت بين القراء في تحقيق الهمزة وتسهيلها أصلاً لهجياً قديماً يعكس اختلاف القبائل في تحملها للثقل الصوتي، وقد حفظته القراءات المتواترة [171].

٦- تكشف هذه الظواهر مجتمعة عن نزوع عام في النظام الصوتي العربي نحو الموازنة بين الشدة واللين تحقيقاً لليسر في الأداء [172].

٧- يتطابق النظر القديم عند النحاة والقراء مع المعطى الصوتي الحديث في تفسير هذه الظواهر تطابقاً كبيراً، وإن اختلفت المصطلحات المستعملة عند الفريقين، مما يؤكد أصالة الملحوظة الصوتية عند القدماء وسبقهم في إدراك كثير من الحقائق التي صاغها الدرس الحديث في قوالب نظرية معاصرة [173].

٨- إن النظر إلى ظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف وأحكام المد المرتبطة بالهمز بوصفها منظومة واحدة تحكمها علة صوتية جامعة – هي التنافر بين الانحباس التام والانفتاح التام – من شأنه أن ييسر تدريس هذه الأحكام للدارسين، ويحوّلها من حفظ جزئيات متناثرة إلى فهم منظومة متكاملة قابلة للاستدلال.

٩- إجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة: تفسر النظريات الصوتية الحديثة – وعلى رأسها العلامية والاقتصاد والجهد النطقي – اتجاه التغيرات الصوتية وعلتها العامة تفسيراً يطابق تعليلات القدماء في جوهره، لكنها لا تفسر بمفردها المقادير الزمنية الدقيقة لأحكام المد، التي تبقى محكومة بعامل إضافي هو النقل المسند؛ ومن ثم فالعلاقة بين المنهجين علاقة تكامل لا علاقة إحلال، وهذه نتيجة تركيبية لا وصفية، إذ تحدد طبيعة الدور الذي يؤديه كل منهج [174].

١٠- إجابة عن السؤال الثاني: تتوافق أحكام المد في القراءات المتواترة مع مبدأ الاقتصاد الصوتي توافقاً نوعياً (في الاتجاه) أكثر منه توافقاً كمياً (في المقدار)؛ فكل زيادة في وجوب المد تقابل زيادة موازية في الكلفة النطقية المقدرة بحسب موضع الهمزة، وهو ارتباط طردي يمكن اختباره تجريبياً بقياس زمن النطق الفعلي، وهو ما يحوّل هذه النتيجة من حكم عام إلى فرضية بحثية قابلة للتحقق المخبري [175].

١١- إجابة عن السؤال الثالث: يمكن – على نحو مبدئي – إعادة تفسير ظواهر التسهيل والإبدال والنقل والحذف بوصفها مخرجات متدرجة لتفاضل بين قيدي الأمانة والعلامية ضمن إطار نظرية الأمثلية، بحيث يفسر تفاوت ترتيب هذين القيدين تفاوتَ القراء واللهجات في معالجة الموضع نفسه؛ وهذا يقترح فرضية جديدة مفادها أن (لهجات التخفيف) تاريخياً ليست سوى لهجات تُعلي القيد العلاماتي على قيود الأمانة بدرجة أكبر من (لهجات التحقيق)، وهي فرضية تركيبية تتجاوز مجرد وصف الفروق إلى اقتراح آلية مولِّدة لها، يمكن اختبارها على مدونات أوسع من اللهجات العربية المعاصرة [176].

١٢- تقترح الدراسة – بناء على ما تقدم – تعميماً جديداً يمكن صياغته كفرضية للدراسات اللاحقة لا كنتيجة مختبرة: كلما ازداد البعد الزمني والجغرافي للهجة عن منظومة الأداء القرآني المسند، ازداد احتمال اتساع نطاق إضعاف الهمزة أو إسقاطها فيها قياساً بالفصحى، وذلك لتحرر هذه اللهجات التدريجي من قيد الأمانة السندي مع بقاء القيد العلاماتي فاعلاً. وهذه فرضية مثيرة تستحق البحث، غير أنها تبقى – في حدود هذه الدراسة – غير مختبرة إحصائياً، إذ لا تستند إلى مدونة لهجية كمية موثقة تقيس درجات إضعاف الهمزة عبر متغيرَي الزمن والمسافة الجغرافية، وإنما إلى ملاحظة عامة عن اتساع ظواهر إبدال الهمزة وحذفها في اللهجات العربية المعاصرة قياساً بالفصحى التراثية [177].وتوصي الدراسة بإجراء دراسات تجريبية تقيس زمن النطق الفعلي بالهمزة مجاورة لأصوات المد باستخدام الأجهزة الصوتية الحديثة (كالسونوجراف وبرامج تحليل الطيف

الصوتي)، وبدراسات مقارنة بين معالجة العربية لهذه الظاهرة ومعالجة اللغات السامية الأخرى لها، وبتوظيف نتائج هذه الدراسة في تيسير تعليم أحكام المد للدارسين عبر ربط كل حكم بعلته الصوتية المباشرة بدلاً من الاكتفاء بحفظ المقادير الزمنية مجردة. كما توصي بإفراد دراسات مستقلة لكل قراءة من القراءات العشر تتبع فيها مواضع التسهيل والإبدال والنقل المتعلقة بالهمز، بما يخدم بناء صورة شاملة عن العلاقة بين اللهجات القديمة والقراءات المتواترة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

(١) ابن الجزري، محمد بن محمد. (د.ت). النشر في القراءات العشر (تحقيق علي محمد الضباع). المطبعة التجارية الكبرى.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٩٨٥). سر صناعة الإعراب (تحقيق حسن هنداوي) (ط. ١). دار القلم.

(٣) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. (١٩٩٦). الأصول في النحو (تحقيق عبد الحسين الفتلي) (ط. ٣). مؤسسة الرسالة.

(٤) أنيس، إبراهيم. (١٩٩٩). الأصوات اللغوية (ط. ٥). مكتبة الأنجلو المصرية.

(٥) بشر، كمال محمد. (د.ت). علم الأصوات. دار غريب.

(٦) الجمل، علي حسين. (٢٠١٠). تيسير المعينات في علم الأصوات (ط. ١). دار اليازوري.

(٧) الحمد، غانم قدوري. (٢٠٠٩). أبحاث في علم التجويد (ط. ٥). دار عمار.

(٨) الحمد، غانم قدوري. (٢٠١٠). الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ط. ٢). دار عمار.

(٩) حسان، تمام. (٢٠٠٧). مناهج البحث في اللغة (ط. ٥). دار الثقافة.

(١٠) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (١٩٨٤). التيسير في القراءات السبع (تحقيق أوتو برتزل) (ط. ٢). دار الكتاب العربي.

(١١) الضامن، حاتم صالح. (٢٠٠٧). أصول النحو العربي في نظر النحاة العرب (ط. ١). مؤسسة الرسالة.

(١٢) السامرائي، إبراهيم. (١٩٨٣). الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث. دار الأندلس.

(١٣) سيبويه، عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق عبد السلام محمد هارون) (ط. ٣). مكتبة الخانجي.

(١٤) عبد التواب، رمضان. (١٩٩٧). التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه (ط. ٣). مكتبة الخانجي.

(١٥) عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٧). دراسة الصوت اللغوي (ط. ٤). عالم الكتب.

(١٦) القيسي، مكي بن أبي طالب. (١٩٩٧). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (تحقيق محيي الدين رمضان) (ط. ٥). مؤسسة الرسالة.

(١٧) مكرم، عبد العال سالم. (١٩٨٥). القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية (ط. ٢). مؤسسة الرسالة.

(١٨) المرادي، الحسن بن قاسم. (١٩٩٧). توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (تحقيق عبد الرحمن سليمان) (ط. ١). مكتبة الكليات الأزهرية.

(١٩) نصر، عطية قابل. (١٩٩٣). غاية المريد في علم التجويد (ط. ١). دار الصحابة للتراث.

References

(٢٠) de Lacy, P. (٢٠٠٦). Markedness: Reduction and preservation in phonology. Cambridge University Press.

(٢١) Lindblom, B. (١٩٩٠). Explaining phonetic variation: A sketch of the H&H theory. In W. J. Hardcastle & A. Marchal (Eds.), Speech production and speech modelling (pp. ٤٠٣-٤٣٩). Kluwer Academic Publishers.

(٢٢) McCarthy, J. J. (١٩٩٤). The phonetics and phonology of Semitic pharyngeals. In P. A. Keating (Ed.), Phonological structure and phonetic form: Papers in laboratory phonology III (pp. ١٩١-٢٣٣). Cambridge University Press.

(٢٣) Prince, A., & Smolensky, P. (٢٠٠٤). Optimality theory: Constraint interaction in generative grammar. Blackwell Publishing.

(٢٤) Trubetzkoy, N. S. (١٩٦٩). Principles of phonology (C. A. M. Baltaxe, Trans.). University of California Press. (Original work published ١٩٣٩)

(٢٥) Watson, J. C. E. (٢٠٠٢). The phonology and morphology of Arabic. Oxford University Press.

(٢٦) Tamimi, Y. A., & I'lawi, N. (٢٠٠٦). ʔ-Variation in Northern Jordanian Arabic: Manifestations of Standard Origin. Journal of Language and Linguistics, ٥(٢), ٢٣٠-٢٤٦.

.Al-Ariqy, M. J. (٢٠٢٢). Glottal stop variation in Standard Arabic: OT-based optionality analysis (٢٧) Proceedings of the Linguistic Society of America, ٧(١), Article ٥٢٧٠. https://doi.org/١٠,٣٧٦٥/plsa.v٧i١,٥٢٧٠

هوامش البحث

[1]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٣١.

[2]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٦٧.

[3]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٥٨.

[4]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج٣، ص. ٢١١. وينظر أيضاً: (١٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ت. سليمان)، ج٢، ص. ٣٤٥.

[5]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ١٨٩.

[6]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٧٣.

[7]ينظر: (٩) مناهج البحث في اللغة، ص. ٨٨.

[8]ينظر: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٤٢.

[9]ينظر في تأصيل هذا المبدأ الصوتي العام: عبد التواب، رمضان. (١٩٩٧). التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه (ط. ٣)، ص. ١٤٠.

[10]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٨٠.

[11]صياغة هذه الأسئلة بوصفها إشكالية بحثية مستقلة هي ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات الوصفية السابقة التي اكتفت بعرض الظاهرة دون مساءلتها. ينظر: Watson, J. C. E. (٢٠٠٢). The Phonology and Morphology of Arabic, p. ٣.

[12]ينظر: (١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (ت. رمضان)، ج١، ص. ٢٩.

[13]ينظر: (٩) مناهج البحث في اللغة، ص. ٩٦.

[14]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ٢١.

[15]هذه الفجوة المنهجية بين الدرس النحوي التراثي والدرس الصوتي الحديث من القضايا التي عالجها كثير من الباحثين المعاصرين. ينظر: حسان، تمام. (٢٠٠٧). مناهج البحث في اللغة (ط. ٥)، ص. ٩٢.

[16]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٥٠–٧٥.

[17]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١١٠–١٥٠.

[18]ينظر: (٧) أبحاث في علم التجويد. وينظر أيضاً: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

[19]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد.

[20]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي).

[21]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي). وينظر أيضاً: (١٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ت. سليمان).

[22]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث. وينظر أيضاً: (١٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية.

[23]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل). وينظر أيضاً: (١) النشر في القراءات العشر (ت. الضباع).

[24]ينظر: (٢٥) The Phonology and Morphology of Arabic.

[25]ينظر: (٢٢) The Phonetics and Phonology of Semitic Pharyngeals.

[26]ينظر: (٢٤) Principles of Phonology. وينظر أيضاً: (٢٣) Optimality Theory: Constraint Interaction in Generative Grammar. وينظر أيضاً: (٢٠) Markedness: Reduction and Preservation in Phonology.

[27]ينظر: (٢١) Explaining Phonetic Variation.

[28]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٨.

[29]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٦٠.

[30]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٨٥.

[31]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٦٠.

[32]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ٩٠.

[33]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ٢٤.

[34]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٣٣.

[35]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ٩٥.

[36]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٥٨.

[37]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج٢، ص. ١٥.

[38]ينظر: (٢٥) The Phonology and Morphology of Arabic, p. ٥.

[39]ينظر: (٢١) Explaining Phonetic Variation.

[40]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٥٨.

[41]ينظر: (٢٤) Principles of Phonology. وينظر أيضاً: (٢٠) Markedness: Reduction and Preservation in Phonology.

[42]ينظر: (٢٠) Markedness: Reduction and Preservation in Phonology, p. ١–١٥.

[43]ينظر: (٢١) Explaining Phonetic Variation, p. ٤٠٣–٤٠٦.

[44]ينظر: (٢٣) Optimality Theory: Constraint Interaction in Generative Grammar.

[45]للتعمق في الفرق بين الصوتيات والفونولوجيا ومفاهيم الاقتصاد والعلامية والجهد النطقي، ينظر: Trubetzkoy, N. S. (١٩٦٩). Principles of Phonology؛ و Lindblom, B. (١٩٩٠). Explaining Phonetic Variation.

[46]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٣٣.

[47]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١١٢. وينظر أيضاً: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٥٤.

[48]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١١٥.

[49]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٦٣.

[50]الشدة عند القدماء هي امتناع الصوت عن الانسياب لكمال الانحباس، وهو ما يقابله مصطلح (الانفجاري) عند المحدثين. ينظر: أنيس، إبراهيم. (١٩٩٩). الأصوات اللغوية (ط. ٥)، ص. ٥٦.

[51]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٧٠.

[52]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١١٨.

[53]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١١٨.

[54]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٨٤.

[55]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٢٠. وينظر أيضاً: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٦٥.

[56]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٤١.

[57]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٤٤.

[58]ينظر: (١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (ت. رمضان)، ج١، ص. ٥٥.

[59]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٥٥.

[60]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج١، ص. ٤٧.

[61]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج١، ص. ٤٩.

[62]هذا المبدأ معروف عند النحاة بـ(التقاء الساكنين)، وهمزة الوصل أحد وسائل العربية للتخلص منه. ينظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. (١٩٩٦). الأصول في النحو (ط. ٣)، ج١، ص. ٥٠.

[63]ينظر: (١٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ت. سليمان)، ج١، ص. ١١٢.

[64]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٩٠.

[65]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ٩٥. وينظر أيضاً: (١١) أصول النحو العربي في نظر النحاة العرب، ص. ١٣٠.

[66]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ٩٨.

[67]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٣٣.

[68]ينظر: (٢٥) The Phonology and Morphology of Arabic, p. ١٧.

[69]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٦٠.

[70]ينظر: (٢٣) Optimality Theory: Constraint Interaction in Generative Grammar.

[71]ينظر: (٢١) Explaining Phonetic Variation.

[72]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١٢٠.

[73]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١٠٨.

[74]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٥٥.

[75]هذه الفكرة تستحق دراسة مستقلة تتبع مسار ضعف الهمزة من الفصحى التراثية إلى اللهجات العربية المعاصرة. ينظر: عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٧). دراسة الصوت اللغوي (ط. ٤)، ص. ١٥٨.

[76]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٧١. وينظر أيضاً: (٥) علم الأصوات، ص. ١٤٥.

[77]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٧٣.

[78]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ١٩٥. وينظر أيضاً: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ٨٨.

[79](الحركة) عند القراء وحدة قياس زمنية نسبية لا مطلقة، وتختلف باختلاف سرعة القارئ، لكنها تحافظ على النسب فيما بينها. ينظر: نصر، عطية قابل. (١٩٩٣). غاية المريد في علم التجويد (ط. ١)، ص. ١٩٦.

[80]ينظر: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٥٦.

[81]ينظر: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٥٨.

[82]ينظر: (٧) أبحاث في علم التجويد، ص. ١٠٢.

[83]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ٢٠١.

[84]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٨١.

[85]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ٢٠٧.

[86]ينظر: (٧) أبحاث في علم التجويد، ص. ١١٠.

[87]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ٢٠٣.

[88]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٨٤.

[89]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ٢٠٩.

[90]ينظر: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ٩٥.

[91]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١٥٠.

[92]ينظر: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ١٤٢.

[93]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ١٠٨. وينظر أيضاً: (١) النشر في القراءات العشر (ت. الضباع)، ج١، ص. ٤٢٠.

[94]هذه الملحوظة تفتح باباً لتعاون منهجي بين علماء التجويد والمتخصصين في الصوتيات التجريبية لقياس مدى التطابق بين المقادير المتوارثة والمعطى الفيزيائي الفعلي. ينظر: Lindblom, B. (١٩٩٠). Explaining Phonetic Variation, pp. ٤١٥–٤١٠؛ والداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (١٩٨٤). التيسير في القراءات السبع، ص. ١٠٨.

[95]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٦٠.

[96]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٩٢.

[97]ينظر: (٧) أبحاث في علم التجويد، ص. ١١٥.

[98]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٣٠.

[99]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٩٠.

[100]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٥٢. وينظر أيضاً: (١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (ت. رمضان)، ج١، ص. ١٤٢.

[101]ينظر: (٥) علم الأصوات، ص. ١٦٠.

[102]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ٩٧.

[103]ينظر: (١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (ت. رمضان)، ج١، ص. ١٤٨.

[104]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج٢، ص. ١٨.

[105]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج٣، ص. ٢٢٤.

[106]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٤٨.

[107]ينظر: (١٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ت. سليمان)، ج٢، ص. ٣٦٠.

[108]هذا النوع من الإبدال يسميه الصرفيون (إعلالاً بالقلب)، وهو من أكثر أبواب الإعلال شيوعاً في الفعل المعتل والمهموز. ينظر: المرادي، الحسن بن قاسم. (١٩٩٧). توضيح المقاصد والمسالك (ط. ١)، ج٢، ص. ٣٦٢.

[109]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج٣، ص. ٢٢٨.

[110]ينظر: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٦٣.

[111]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٨٨.

[112]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٩٦.

[113]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٩٩.

[114]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٦٠.

[115]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ٩٢.

[116]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج٣، ص. ٢٣٥.

[117]ينظر: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ١٣٤.

[118]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٤٢.

[119]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٨٧.

[120]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٤٥.

[121]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ١٠٢.

[122]ينظر: (١) النشر في القراءات العشر (ت. الضباع)، ج١، ص. ٤٠٨. وينظر أيضاً: (١٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ص. ٧٦.

[123]ينظر: (١) النشر في القراءات العشر (ت. الضباع)، ج١، ص. ٤١٠.

[124]ينظر: (٢٣) Optimality Theory: Constraint Interaction in Generative Grammar.

[125]ينظر: (٢٠) Markedness: Reduction and Preservation in Phonology, p. ٣٠–٤٥.

[126]لمزيد من التفصيل في تطبيق نظرية الأمثلية على ظواهر الإبدال والحذف في اللغات السامية، ينظر: Prince, A., & Smolensky, P. (٢٠٠٤). Optimality Theory؛ و de Lacy, P. (٢٠٠٦). Markedness, ch. ٢. وللاطلاع على تطبيق أحدث لنظرية الأمثلية على تفسير سلوك الهمزة في العربية الفصحى تحديداً، ينظر: (٢٧) (٢٠٢٢) Al-Ariqy.

[127]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ١٠٢.

[128]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ٢١٠.

[129]ينظر: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ١٣٨.

[130]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١٠٢.

[131]ينظر: (١١) أصول النحو العربي في نظر النحاة العرب، ص. ١٤٥.

[132]هذه الملحوظة تتصل بما يسميه علم اللغة الاجتماعي اليوم بالعلاقة بين الإيقاع الكلامي ونمط الحياة (الحضري/البدوي)، وهي قراءة حديثة لملحوظة قديمة عند النحاة. ينظر: الضامن، حاتم صالح. (٢٠٠٧). أصول النحو العربي في نظر النحاة العرب (ط. ١)، ص. ١٤٨.

[133]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١٠٥.

[134]ينظر: (١٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ص. ٩١. وينظر أيضاً: (١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (ت. رمضان)، ج٢، ص. ٢١٥.

[135]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ١٠٥.

[136]ينظر: (١٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ص. ٩٥.

[137]ينظر: (١) النشر في القراءات العشر (ت. الضباع)، ج١، ص. ٤١٥.

[138]ينظر: (٣) الأصول في النحو (ت. الفتلي)، ج٣، ص. ٢٣٠.

[139]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٥٠.

[140]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١١٠.

[141]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج١، ص. ١٠٢.

[142]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١١٢.

[143]ينظر: (١١) أصول النحو العربي في نظر النحاة العرب، ص. ١٥٢.

[144]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٥٧.

[145]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١١٥.

[146]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ١٠٨.

[147]ينظر: (٢٠) Markedness: Reduction and Preservation in Phonology, p. ١٢. وينظر أيضاً: (٢٥) The Phonology and Morphology of Arabic, p. ٢٢.

[148]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٤٩.

[149]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ٢٠٨.

[150]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٧٨.

[151]ينظر: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ١٣٠.

[152]ينظر: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل)، ص. ٨٥.

[153]ينظر: (١٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ص. ٩٨.

[154]ينظر: (١) النشر في القراءات العشر (ت. الضباع)، ج١، ص. ٤١٢.

[155]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ١٠٥.

[156]ينظر: (١٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (ت. سليمان)، ج٢، ص. ٣٦٥.

[157]ينظر: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٦٥.

[158]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٦٥. وينظر أيضاً: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ١١٠.

[159]ينظر: (٩) مناهج البحث في اللغة، ص. ١١٠.

[160]ينظر: (٩) مناهج البحث في اللغة، ص. ١١٥. وينظر أيضاً: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ١٤٠.

[161]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٣٣. وينظر أيضاً: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٢٠.

[162]ينظر: (١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (ت. رمضان)، ج١، ص. ١٤٥. وينظر أيضاً: (٥) علم الأصوات، ص. ١٦٢.

[163]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج٢، ص. ٢٠. وينظر أيضاً: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٦٠.

[164]ينظر: (١٩) غاية المريد في علم التجويد، ص. ١٩٨. وينظر أيضاً: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ٩٠.

[165]ينظر: (٦) تيسير المعينات في علم الأصوات، ص. ١١٥.

[166]ينظر: (٧) أبحاث في علم التجويد، ص. ١٢٠.

[167]ينظر: (١٣) الكتاب (ت. هارون)، ج٤، ص. ٤٣٣. وينظر أيضاً: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٣٠.

[168]ينظر: (٤) الأصوات اللغوية، ص. ٧١.

[169]ينظر: (٢) سر صناعة الإعراب (ت. هنداوي)، ج٢، ص. ٢٥.

[170]ينظر: (٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص. ١٣٤.

[171]ينظر: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١٠٢. وينظر أيضاً: (١٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ص. ٩١.

[172]ينظر: (١٤) التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص. ١٧٠.

[173]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٥٢.

[174]ينظر: (٢٣) Optimality Theory: Constraint Interaction in Generative Grammar. وينظر أيضاً: (١٠) التيسير في القراءات السبع (ت. پرتزل).

[175]ينظر: (٢١) Explaining Phonetic Variation.

[176]ينظر: (٢٠) Markedness: Reduction and Preservation in Phonology.

[177]ينظر: (١٥) دراسة الصوت اللغوي، ص. ١٥٨. وينظر أيضاً: (١٢) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. ١١٥. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفرضية ما تزال بحاجة إلى اختبار كمي أوسع؛ ولمثال على دراسة كمية للتفاوت في تحقيق الهمزة وحذفها وإبدالها في لهجة عربية معاصرة، ينظر: (٢٦) (٢٠٠٦) Tamimi & l'lawi.